

**أهمية اللغة العربية ودورها
في ترسيخ قيم الانتماء والمواطنة**

إعداد الدكتور

ياسر رجب عز الدين عبد الله

أستاذ أصول اللغة المساعد في كلية اللغة العربية

جرجا، سوهاج - جامعة الأزهر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



أهمية اللغة العربية ودورها في ترسيخ قيم الانتماء والمواطنة

ياسر رجب عز الدين عبد الله.

فسم أصول اللغة، كلية اللغة العربية، جرجا، سوهاج، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: YasserAbdullah2018.el@azhar.edu.eg

الملخص:

هذا البحث يسلط الضوء على أهمية اللغة العربية ودورها الفاعل في الترسيع لقيم الانتماء والمواطنة في المجتمع، ويستمد هذا البحث أهميته من الحاجة الملحة إلى الكشف عن الأدوات التي تحقق الترابط والمواطنة بين الشعوب في هذا الزمن الذي يموج بالصراعات والتشردم وحالة العزلة التي تحدث داخل المجتمعات وخاصة في مجتمعنا العربي، فالكثير من الشباب والناشئة الصغار لا يدركون أهمية اللغة في تحقيق الترابط والانتماء بين أفراد وطبقات المجتمع.

إن اللغة، هي وعاء الفكر؛ إذ تمثل مقياساً خطيراً من مقياس الهوية والانتماء، وتظل بمثابة البوتقة التي تجمع تراث الأمة، وتستوعب مقومات فكرها وثقافتها على مر العصور والأزمان، فهي أداة التعبير ووسيلة التواصل، وهي مادة التوثيق التي تضمن لفكر الأمة بقاءً وخلوداً. ولا شك أن الاهتمام باللغة القومية يظل مؤشراً من مؤشرات الاهتمام بالقومية ذاتها، حيث تظل اللغة معبرة عن الوعي الجماعي للأمة، مرتبطة- كل الارتباط- بهوية أبنائها، معبرة عن وحدة صفوفهم، ووحدة أهدافهم، ووحدة فكرهم في آنٍ واحد.

فمما لا شك فيه أن اللغة العربية لها عظيم الأثر في ترسيخ قيمة المواطنة، وتكريس الانتماء، فالواحد من الناس يألف من يتكلم بلسانه، ويقترّب منه أكثر من غيره، ومن تتبع أحوال المسافرين في محطات سفرهم ثبتت له تلك الحقيقة، وكذلك المغتربون للدراسة أو للعمل أو

للعلاج تُولَّفهم اللغة، وتجمعهم بلدانهم، فكل أهل بلد لهم رابطة تُوحِّدهم، ومستقرُّ يجمعهم، وأقوى دافعٌ لهم في ذلك كون لهجاتهم واحدة.

من هنا تأتي أهمية هذه الدراسة التي تطمح إلى الكشف عن أهمية اللغة العربية ودورها الفاعل في الترسيع لقيم الانتماء والمواطنة في المجتمع؛ وذلك من خلال ما ورد في الدراسات اللغوية، وما رصدته العلماء من ذلك في المجتمع؛ وذلك لتكون منطلقاً نحو التوعية بأهمية اللغة وتفعيل دورها الرائد في تحقيق الانتماء والتألف بين أفراد المجتمع والشعوب من خلال لغاتهم ولهجاتهم المشتركة بينهم، وتعزيز قيمة المواطنة عن طريق الاهتمام باللغة العربية وتعليمها، وتوسيع دائرتها لتكون بوتقة تجمع بين الشعوب والمجتمعات العربية والإسلامية وغيرها من المجتمعات الأخرى، فإن رباط اللغة والدين من أقوى الروابط وأوثقها.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة ومبحثين وخاتمة بها أهم نتائج البحث والدراسة.

الكلمات المفتاحية: اللغة / العربية / المواطنة / الانتماء / المجتمع / ترسيخ / قيم / ياسر /

رجب .



Abstract

This research sheds light on the importance of the Arabic language and its active role in consolidating the values of belonging and citizenship in society. Our Arab society, many young men and women do not realize the importance of language in achieving cohesion and belonging between individuals and classes of society.

Language is the vessel of thought. It represents a serious measure of identity and belonging, and it remains the crucible that collects the nation's heritage and absorbs the elements of its thought and culture throughout the ages and times. There is no doubt that interest in the national language remains an indicator of interest in nationalism itself, as the language remains an expression of the collective consciousness of the nation, linked - fully linked - to the identity of its people, expressing the unity of their ranks, the unity of their goals, and the unity of their thought at the same time.

There is no doubt that the Arabic language has a great impact on the consolidation of the value of citizenship and the consolidation of belonging, as one of the people gets acquainted with the one who speaks in his tongue, and gets closer to him more than others, and whoever tracks the conditions of travelers in their travel stations proves this fact to him, as well as expatriates for study, work or For treatment, the language composes them, and their countries bring them together, for every country's people have a bond that unites them, and a stable that brings them together, and their strongest motive for that is that their dialects are one.

Hence the importance of this study, which aspires to reveal the importance of the Arabic language and its active role in consolidating the values of belonging and citizenship in society. And that is through what



was stated in linguistic studies, and what scientists monitored in society; This is to be a starting point towards raising awareness of the importance of language and activating its pioneering role in achieving belonging and harmony between members of society and peoples through their common languages and dialects, and to enhance the value of citizenship by paying attention to the Arabic language and teaching it, and expanding its circle to be a crucible that brings together Arab and Islamic peoples and societies and other societies. The bond of language and religion is one of the strongest and most reliable bonds.

This research came in an introduction, two chapters, and a conclusion containing the most important results of the research and study.

Keywords: language / Arabic / citizenship / affiliation / society / consolidation / values / Yasser / Ragab

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وال صلاة والسلام على النبي الأمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد،،،

فإن اللغة هي عنوان الهوية الوطنية، ورمز الانتماء، ولا يمكن أن تكون اللغة بمعزل عن الانتماء الوطني، فإن الإنسان بطبيعته كائن متمم، فلا يستطيع أن يشكل وجوده أو يعيش حياته بمعزل عن الآخرين، ولا يستطيع كذلك أن يبدع لغة خاصةً تعزله عن سواه من البشر، الذين يشاركونه، أو بالأصح يشاركونهم واقعهما الاجتماعي والسياسي والثقافي. وهذا الواقع المشترك الذي يفرض الهوية المشتركة، هو الواقع نفسه الذي يفرض الانتماء إلى هذه الهوية دينية كانت، أو لغوية، أو وطنية. والهوية لا تتأني بين يوم وليلة؛ وإنما هي خلاصة تعايش طويل لقوم أو مجموعة أقوام تحدد، بمرور الزمن، مكانهم الجغرافي، وتحددت معالم لغتهم المشتركة وقواعدها، وتحددت معها طموحاتهم وأحلامهم، وصاروا بحكم ذلك التكوين متممين بالضرورة إلى هذا المكان وهذه اللغة. وأي تصدع في جدار الانتماء لابد أن يصدر تصدعات واسعة في جدران الهوية والمكان واللغة^(١).

واللغة العربية من بين اللغات التي أسهمت في ترسيخ المعنى السامي للمواطنة والانتماء في المجتمع منذ فجر التاريخ، فقد سارت مع المد الإسلامي الذي انطلق من شبه الجزيرة العربية، وابتلعت لغات كثير من الشعوب التي اختارت الإسلام لها ديناً، واللغة العربية لها لساناً، فتكلمتها بطلاقة غريبة، واستطاعت أن تُسهِم في إثراء التراث العربي في مجالات الحياة

(١) ينظر: اللغة العربية: هوية ومواطنة / أ. علي نيمان القرني (مقال).

المختلفة، في الطب والصيدلة والرياضيات والكيمياء والفلك، ولم تكتفِ بكل هذا فأسهمت أيضاً في الأدب واللغة والنحو. وفي عصورها الزاهرة استطاعت اللغة العربية أن تستوعب تراث الأمم القديمة من فرس وإغريق وسريان وغيرهم، وأن تقدمه للبشرية سائغاً شرابه، لذيذاً طعمه، فأثرت الفكر الإنساني والحضارة الإنسانية في مجالات العلوم المختلفة البحتة والتطبيقية.

وأثبتت اللغة العربية من ناحية أخرى أنها قادرة على استيعاب كل ثقافات الأرض حتى غدت في أواخر القرن الثاني عشر للميلاد لغة العلم والحضارة، وأصبح العالم يتكلم بالعربية لمدة تزيد على ثمانية قرون من عمر الزمان، كانت الأمة قوية فقويت معها لغتها. وأقبل علماء أوروبا على تعلمها وترجمة تراثها العلمي إلى اللاتينية فيما يُعرف بعصر الاستعراب الأوروبي^(١).

مشكلة البحث أو سؤال البحث:

مع الحاجة الملحة إلى الكشف عن الأدوات التي تحقق الترابط والمواطنة بين الشعوب في هذا الزمن الذي يموج بالصراعات والتشردُّم وحالة الانعزال الاجتماعي في المجتمعات، وخاصة في مجتمعنا العربي، فالكثير من الشباب والناشئة الصغار لا يدركون أهمية اللغة في تحقيق الترابط والانتماء بين أفراد وطبقات المجتمع، فإن هذا يطرح تساؤلات، منها: هل تعد اللغة العربية وسيلة من وسائل المواطنة والانتماء؟ وإذا كانت اللغة كذلك، فكيف يمكن حدوث ذلك؟ وما دور اللغة العربية وأهميتها في ترسيخ قيم الانتماء والمواطنة في الوطن العربي؟

سبب اختيار البحث وهدفه:

انطلاقاً من هذه التساؤلات والمعطيات السابقة جاءت هذه الدراسة التي تطمح إلى الكشف عن أهمية اللغة العربية ودورها الفاعل في ترسيخ لقيم الانتماء والمواطنة في المجتمع؛ وذلك من خلال ما ورد في الدراسات اللغوية، وما رصده العلماء من ذلك في المجتمع؛ وذلك لتكون منطلقاً

(١) ينظر: اللغة العربية: الهوية والانتماء / د. معمر فيصل، (مقال).

نحو التوعية بأهمية اللغة، وتفعيل دورها الرائد في تحقيق الانتماء والتآلف بين أفراد المجتمع والشعوب من خلال لغاتهم ولهجاتهم المشتركة بينهم، وتعزيز قيمة المواطنة عن طريق الاهتمام باللغة العربية وتعليمها، وتوسيع دائرتها لتكون بوتقة تجمع بين الشعوب والمجتمعات العربية والإسلامية وغيرها من المجتمعات الأخرى، فإنَّ رباط اللغة والدين من أقوى الروابط وأوثقها.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في كونه يعالج مشكلة من مشكلات المجتمع وهي التفكك والتشردم، ويكشف عن دور اللغة عمومًا واللغة العربية بصفة خاصة في ترسيخ قيم الانتماء والمواطنة في المجتمع، كما تتجلى أهمية هذا البحث أيضًا في كونه يسלט الضوء على زيادة اللغة العربية منذ القدم في استيعاب ثقافات وشعوب كثيرة تحت لوائها، توطيدًا لأواصر المواطنة والانتماء بين الأمم والشعوب، رغم اختلاف ألوانهم وعرقهم؛ وذلك جنبًا إلى جنب مع الرباط الديني الإسلامي.

منهج البحث:

اعتمدتُ في هذا البحث على المنهج الوصفي الاستقرائي والتاريخي؛ فهما الأنسب لهذه الدراسة العلمية المتعلقة بعلم اللغة الاجتماعي.

خطة البحث:

جاء هذا البحث في مقدمة، وتشمل: مشكلة البحث، وسبب اختياره وهدفه، وأهميته، ومنهج البحث وخطته. وتمهيد، بعنوان: مفهوم الانتماء والمواطنة وتطوره عبر التاريخ، ومبحثين: الأول، بعنوان: "أهمية اللغة العربية في الحفاظ على الهوية"، والمبحث الثاني، بعنوان: "دور اللغة العربية في ترسيخ قيم الانتماء المواطنة"، وخاتمة: بها أهم نتائج البحث.

(والله من وراء القصد وهو ولي التوفيق)

تمهيد

مفهوم الانتماء والمواطنة، وتطوره عبر التاريخ

أولاً: مفهوم الانتماء:

في اللغة: النسبة إلى الشيء، يقال: انتمى إلى كذا: انتسب^(١). ويقال: انتمى فلان إلى فلان: إذا ارتفع إليه في النسب^(٢)، ويقال: انتمى فلانٌ إلى حَسَبِهِ: انتسب^(٣).
ويقال: نَمَيْتُهُ إِلَى أَبِيهِ نَمِيًّا، وَنَمِيًّا، وَأَنْمَيْتُهُ: عَزَوْتَهُ، وَنَسَبْتَهُ^(٤). وَأَنْتَمَى هُوَ إِلَيْهِ: انتسب، وفلان يَنْمِي إِلَى حَسَبِهِ، وَيَنْتَمِي: يرتفع إليه^(٥).
في ضوء ما سبق يُعرَّف الانتماء الوطني بأنَّه: انتساب الشخص إلى البلد الذي وُلِد فيه أو يرجع إليه، وهو المنزل الذي يمثل مكان نشأته وتربيته، وينسب الشخص إلى وطنه - حديثاً - من خلال أعراف تدل على ذلك مثل: جواز السفر، أو بطاقة إثبات الهوية أو شهادة الميلاد^(٦).
وأما في الاصطلاح: فقد عُرِّف "الانتماء" بعدة تعريفات منها، أنه:
- "عمل صالح إنساني، وشعور نبيل، يؤسسه وبينه فطرة سوية، وأفراد صالحون مضحون، وقدوات بريئة من الأغراض الصغيرة"^(٧).

(١) ينظر: المصباح المنير/ للفيومي ٢/ ٦٢٦، والمعجم الوسيط / لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ٢/ ٩٥٦ (ن م ي).

(٢) ينظر: تهذيب اللغة/ للأزهري ١٥ / ٣٧١، والقاموس المحيط/ للفيروزآبادي ص ١٣٤٠ (ن م ي).

(٣) ينظر: المقاييس في اللغة/ لابن فارس ٥/ ٤٨٠، والصحاح / للجوهري ٦/ ٢٥١٦ (ن م ي).

(٤) ينظر: لسان العرب/ لابن منظور ١٥ / ٣٤١، وتاج العروس / للزبيدي ٤٠ / ١٣٣ (ن م ي).

(٥) ينظر: العين/ للخليل ٨ / ٣٨٤، المحكم/ لابن سيده ١٠ / ٥٠٩، ولسان العرب ١٥ / ٣٤٢ (ن م ي).

(٦) ينظر: التعريفات/ للجرجاني ص ٣٢٧، والانتماء الوطني.. رؤية شرعية/ سالم بن عميران.

(٧) ينظر: الانتماء للوطن/ عادل عبد القادر قوته ص ١٢.

- "النزعة التي تدفع الفرد للدخول في إطار اجتماعي فكري معين، بما يقتضي الالتزام بمعايير وقواعد هذا الإطار، ونصرته، والدفاع عنه في مقابل غيره من الأطر الاجتماعية، والفكرية"^(١).

- "اتجاه إيجابي مدعّم بالحب، يستشعره الفرد تجاه وطنه، مؤكداً وجود ارتباط وانتساب نحو هذا الوطن، باعتباره عضواً فيه، ويشعر نحوه بالفخر، والولاء، ويعتز بهويته، وتوحدّه معه، ويكون منشغلاً ومهموماً بقضاياها، محافظاً على مصالحه، وثرواته، مراعيًا الصالح العام، ومشجعاً ومسهماً في الأعمال الجماعية، ومتفاعلاً مع الأغلبية، ولا يتخلى عنه حتى وإن اشتدت به الأزمات"^(٢).

- "حاجة إنسانية ضرورية لتحقيق تماسك المجتمع عن طريق تبني أفراد المجتمع مثاليات، ومعايير، وقيم المجتمع، ومقننات السلوك التي تقتضيها عضويته، وليس معنى تبني مثاليات ومعايير وقيم المجتمع أن يصبح الأفراد نسخة واحدة للطاعة العمياء، وإنما تكون هذه المعايير والقيم بما يسمح بنمو الذات، فلا تضيع ذات الفرد"^(٣).

وعلى ذلك فإن الانتماء الوطني: هو اتجاه إيجابي مدعّم بحب المواطن لوطنه، وهذا الشعور يتواجد في قلب الفرد في كل حين، فهو يعتز بهويته الوطنية، ويكون منشغلاً ومهتماً بقضايا الوطن، وعلى وعي وإدراك بمشكلاته، وملتزماً بالمعايير والقيم الإيجابية التي تعلي من

(١) سيكولوجية الانتماء - دراسة مقارنة بين جيلين في مجتمع الإمارات/ روضة عبد الله المطوع ص ١٤ (رسالة ماجستير).

(٢) أثر الانفتاح الثقافي على مفهوم المواطنة لدى الشباب السعودي، دراسة استكشافية/ عثمان صالح ص ٧٣.

(٣) الانتماء والقيم: دراسة مقارنة لمجموعات من المراهقين في مجموعات مختلفة/ هانم إبراهيم الشبيني ص ١٣.

شأنه، وتنهض به، محافظاً على مصالحه، وثرواته، ومشاركاً في الأعمال الجماعية في الوطن^(١). ويتطلب الانتماء الوطني حب الوطن، والإخلاص له، والتضحية من أجله، والدفاع عنه، والتمسك بالوطن، والثقة فيه في كل الأحوال، والحفاظ على سمعة الوطن، والغيرة عليه، وعلى كرامته، ومصالحته، وممتلكاته، والحرص على الإسهام في كل عمل يساعد على رفعة شأن الوطن، وعظم الشعور بالانتماء للدوائر الأصغر التي يتكون منها الوطن كالأُسرة، والمدرسة، والقرية، والمدينة، والإقليم، والوعي بتاريخ وظروف ومشكلات وواقع الوطن، ومن يعيش فيه، وعدم تقديم المصالح الخاصة على مصالح الوطن، والمحافظة على أمنه، وعلى حياة المواطنين، وأموالهم، وأعراضهم^(٢).

هذا ويعد مفهوم الانتماء الوطني من المفاهيم الحديثة في هذا العصر، فقد زاد اهتمام الباحثين بهذا المفهوم مع بداية عصر العولمة؛ حيث زالت فيه الحدود والحواجز بين الأمم والشعوب بفعل الطفرة التكنولوجية الكبيرة في وسائل الاتصال الحديثة؛ مما تسبب في تداخل العديد من القيم والعادات الأصيلة في المجتمع الإسلامي لعل من أبرزها حب الوطن والانتماء إليه^(٣).

ولكن عند النظر بعمق وشمولية إلى مفهوم الانتماء نجد أن الأصل في انتماء المسلم هو انتماءه إلى وطنه الإسلامي الكبير، ولكن بسبب الظروف السياسية التي مرت بها الأمة، واستقلال كل بلد بولي أمر متبع، صار الوطن هو المتعارف عليه عند أهل السياسة والجغرافيا، يقول العلامة الشوكاني: "أما بعد انتشار الإسلام واتساع رقعته وتباعد أطرافه فمعلوم أنه قد

(١) ينظر: دور التعليم في تعزيز الانتماء / د. لطيفة إبراهيم خضر ص ٣٣.

(٢) ينظر: واقع الانتماء لدى الطلاب في المملكة العربية السعودية ودور المدرسة في تعميقه / إبراهيم العيسى ص ١٨.

(٣) ينظر: الانتماء الوطني.. رؤية شرعية / سالم بن عميران.

صار في كل قطر أو أقطار الولاية إمام أو سلطان وفي القطر الآخر أو الأقطار كذلك، ولا ينفذ لبعضهم أمرٌ ولا نهْيٌ في قطر الآخر وأقطاره التي رجعت إلى ولايته؛ فلا بأس بتعدد الأئمة والسلاطين ويجب الطاعة لكل واحد منهم بعد البيعة له على أهل القطر الذي ينفذ فيه أو امره ونواهيته وكذلك صاحب القطر الآخر"^(١).

لذلك رأى العلماء أن: الانتماء للوطن لا يستقيم إلا بالانتماء للإسلام، والولاء لله ورسوله والمؤمنين في كل زمان ومكان، وأن عقد الولاء والبراء على أساس اللون أو الجنس أو العرق أو الأرض أمر يمنع الإسلام وهو من العصبية الجاهلية الممقوتة التي حاربها الإسلام. كذلك على كل مسلم أن ينتمي إلى وطنه الذي نشأ فيه ويحكمه ولي أمر منيع وحكومة لها السيادة والوصاية على حدود أرضها، وتوفر لمواطنيها سبل الحياة الكريمة، ويلتزم بانتمائهم الأكبر لوطنه الإسلامي الكبير، فيحزن لحزن إخوانه المسلمين ويفرح لفرحهم"^(٢).

ثانياً: مفهوم المواطنة:

ورد في اللغة أن: "المواطنة لفظ مفرد، وله معانٍ منها:

- ١ - مصدر واطن.
- ٢ - نزعة ترمي إلى اعتبار الإنسانية أسرة واحدة ووطنها العالم وأعضاؤها أفراد البشر جميعاً "تفرض المواطنة على كل الشعوب احترام حقوق الإنسان".
- ٣ - عدم التمييز بين أبناء الوطن الواحد وسكانه الذين ينتمون إليه على أساس الدين أو اللغة أو الجنس.
- ٤ - كون المرء مواطناً من مواطني دولة، وله فيها حقوق وامتيازات تكفلها له الدولة وبالمقابل

(١) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار/ للشوكاني ص ٩٤١.

(٢) ينظر: الانتماء الوطني.. رؤية شرعية/ سالم بن عميران (مقال).

عليه الالتزام بالواجبات التي تفرضها عليه "أُعطي حقَّ المُواطنة"^(١).

وعن تعريف المواطنة في الاصطلاح، فقد ورد أنها: تلك الصفة التي يتميز بها الأشخاص الذين يعيشون على أرض دولةٍ ما، وبموجب ذلك الأمر يتم الحصول على الكثير من المميزات بصفتهم مواطنين داخل دولةٍ واحدة^(٢).

وعلى ذلك فالمواطنة: عبارة عن حق من حقوق الإنسان المدني الأمر الذي أدى إلى اشتقاق اسمها في اليونانية القديمة وأيضاً اللغة الإنجليزية من كلمة polis ومعناها المدينة. فقد ذكر العلماء: أن كلمة المواطنة ومدلولها يرجع إلى عهد الحضارات القديمة (اليونانية والرومانية)؛ حيث إنها مشتقة من كلمة (polis) ومعناها المدينة، ومن ثم فإن مدلول المواطنة يعني: الحالة القانونية التي تعكس العلاقة بين الوطن والمواطن، كما تعرف كلمة مواطنة في اللغة الفرنسية من خلال اشتقاقها اللغوي من كلمة "سيفيتاس" اللاتينية المعادلة تقريباً لكلمة بولس اليونانية، والتي تعني المدينة، باعتبارها وحدة سياسية مستقلة، لا كمجموعة من السكان^(٣).

خصائص المواطنة:

- تتميز المواطنة بالكثير من الخصائص والتي تتمثل في الآتي:
- منح الفرد الصفة الرسمية داخل الدولة التي يعيش بها الأشخاص.
 - تساعد الأشخاص في الحصول على كافة الحقوق الخاصة بهم.

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة / د. أحمد مختار عمر ٣ / ٢٤٦٢.

(٢) ينظر: تعريف المواطنة لغة واصطلاحاً — (مقال).

(٣) ينظر: المواطنة / د. عصام صيام ص ٧، ٢٨، ومفهوم المواطنة والأسس التي تقوم عليها في ألمانيا ومصر - دراسة

مقارنة/ نهلة محمد مصطفى ص ١١.

- تعمل على جعل المواطنين يعيشون تحت قانون واحد في البلاد.
- تحديد كافة المسؤوليات التي تقع على المواطنين.
- تطبيق مبدأ المساواة بين جميع أفراد المجتمع^(١).

تطور مفهوم المواطنة عبر التاريخ:

إنَّ الناظر إلى تاريخ الفكر الفلسفي يدرك مدى التطور الذي لحق مفهوم المواطنة، فالمفهوم الذي بدأ خلال الحقبة اليونانية قبل الميلاد ليس هو نفسه الذي كان موجوداً في فترة العصور الوسطى، وكذلك يختلف عن ذلك الذي عرفته أوروبا بعد الثورة الفرنسية، والذي يختلف بدوره عن المفهوم المعاصر للمواطنة.

فالمواطنة _ في كل حقبة تاريخية _ إنما كانت تعبر عن التركيبة الثقافية والأخلاقية لتلك الحقبة، ومن ثم كانت المواطنة هي المؤشر على مدى تحقق المثل الأخلاقية والسياسية في زمانها، فالمواطن عند اليونان هو «اليوناني الحر»، بينما المواطن في زمن الدولة القومية هو أحد أبناء الأمة المكونة للدولة... إلخ، فالمواطنة قديماً لم تكن تشير طوال الوقت إلى مبادئ وقيم أخلاقية وسياسية عامة، وإنما كانت تعبر عن وضعية خاصة يحوزها البعض، ويُحرَم منها الآخرون؛ أي: أن المواطنة كانت حالة من عدم المساواة، يقابلها رغبة وكفاح من أجل المساواة من جانب أولئك الذين حُرِّموا منها، ومن هنا فإن تاريخ مبدأ المواطنة هو تاريخ سعي الإنسان من أجل الإنصاف، والعدل، والمساواة^(٢).

ويمكن القول: إن قيمة الولاء هي المحرك الحقيقي للمواطنة وهو نتيجة نهائية تتبلور في

(١) تعريف المواطنة لغة واصطلاحاً _ (مقال).

(٢) مفهوم المواطنة وتطوره التاريخي من العصور اليونانية حتى تاريخنا المعاصر / د. علي الصلابي (مقال).

شكل ما يسمى الوطنية، فالولاء يدفعه إلى أداء واجباته ضمن إطار قيم المواطنة، ولا بد من النظر إلى اللغة العربية بحيث يكون الاعتزازُ بها اعتزازًا بالوطن، وتراثه الحضاري العظيم، فهي عن صرٍّ أساس من مقوماتِ الوطن والشخصية العربية، والنظر إليها على أنها وعاء للمعرفة والثقافة بكلِّ جوانبها، ولا تكون مجردَ مادةٍ مستقلة بذاتها للدراسة؛ لأنَّ الوطن الذي يهمل لغته ووطن يحترق نفسه، ويفرضُ على نفسه التبعية الثقافية^(١).

فقد ثبت أن المواطنة تعد أحد دعائم الحضارة والتقدم في المجتمع، وأن اللغة جزء أصيل من أجزاء ومكونات المواطنة، فهي أحد القيم التي تتحكم في التعبير عن الهوية والانتماء، وقد جسَّدت اللغة العربية أسمى آيات المواطنة في المجتمع العربي والإسلامي منذ القدم، وما زالت تقوم بدورها الرائد، وهذا ما سوف يتضح جلياً من خلال الصفحات التالية.

(١) اللغة العربية: هوية ومواطنة/ أ. علي نيمان القرني (مقال).

المبحث الأول

أهمية اللغة العربية في الحفاظ على الهوية^(١)

توطئة:

تلعب اللغات الراقية لدى أبنائها المنتسبين إليها دورًا يتجاوز بكثير مجرد مهمة التوصليل، والفهم والإفهام، وقضاء الحاجات اليومية، مع التسليم بأهمية هذه الأشياء في حياة البشر. فالحياة يُمكن لها أن تتحقق ويتمّ التواصّل بين أطرافها من خلال الوسائل غير اللغوية؛ مثل: الإرشادات والرّموز البسيطة، وصيحات الإعلان عن الحاجة أو القنّاعة أو السخط والرضا، وهو ما نلاحظه على نطاقٍ واسعٍ، في عالم الطيور والحيوان من حولنا، وفي مراحل الطفولة المبكرة من أعمارنا، وعند ذوي الحواسّ المُعطلة الذين لا يُكلّمون الناس إلا رمزًا، ومع ذلك تسيّر حياتهم ويُعبّرون عن رغباتهم دون أن يندرجوا في مراحل التعبير المُتفاوتة، وُضوحًا أو طلاقةً، أو تصريحًا أو تلميحًا، ودون أن يتفاوت رصيدهم الفكري التعبيري ثراءً، ولا شكل المعرفة الموروثة عنهم ضحالةً أو عمقًا.

لكن "اللغة" في شكلها الذي يتكوّن من بنية كلامية مُنتقاة، تلقى العناية على يد أبنائها جيلًا بعد جيل في تشكيل أصول الصّحّة والجمال بها، وتستغلّ بنياتها الصحيحة الجميلة تلك أدوات لحمل الفكر الراقى والمشاعر السامية من فرد إلى فرد، ومن جماعة إلى جماعة، ومن

(١) الهوية: مجموعة من الخصائص والملامح التي تتكون منها الشخصية المتميزة لشعبٍ من الشعوب، ولكل فردٍ من أفراد المجتمع هوية شخصية وهوية اجتماعية، تعرفه بانتمائه إلى مجموعة اجتماعية محددة، وعلى أساس الانتساب إلى تلك الهوية يُصنّف الأفراد والجماعات أنفسهم، ويُصنّفون الآخرين، وقد جعل المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة للهوية متصورًا ماديًا هو: "بطاقة يثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله، وتسمى البطاقة الشخصية أيضًا. ينظر: اللغة والدين والهوية/ عبد العلي الودغيري ص ٦٨، واللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح/ بسام بركة وآخرون، ص ٨١، والمعجم الوسيط ٢ / ٩٩٨ (هـ و ي).

جيل إلى جيل، وتزداد اتساعاً على مستوى المكان، وثراءً على مستوى الزمان، هذه اللغة تتجاوز مهامها المنوطة بها مرحلة مجرد قضاء الحاجات، والتعبير عن الرغبات - إلى مرحلة بناء الأفراد والجماعات، وتشبيد المعارف والحضارات^(١).

إن من أعظم ما تعزز به الأمم من تراث هو لغتها ودينها، وتعزز بلغتها علمياً وتربوياً وإعلامياً، فاللغة في حياة الأمم تمثل أهم معالمها وأبرز مظاهرها، ومن خلالها تتمايز وتسود الأمم وتتفاضل^(٢)، ولا يخفى على ذي لب ما للغة العربية من أهمية عظيمة؛ في كونها لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة، وكونها جزءاً من ديننا، بل لا يمكن أن يقوم الإسلام إلا بها، ولا يصح أن يقرأ المسلم القرآن إلا بالعربية، وقراءة القرآن ركن من أركان الصلاة، التي هي ركن من أركان الإسلام.

علاقة الهوية باللغة:

علاقة الهوية باللغة علاقة جدلية تفاعلية؛ إذ ليست اللغة أداة للتعبير فحسب، ولا وسيلة للتواصل بين الأفراد، ولا شأنًا من شؤون العلم والثقافة والتدريس، لكنها شأن من شؤون الهوية والأمن القومي والسيادة الوطنية والاستقرار الاجتماعي والنفسي؛ حيث اللغة مؤلف رئيس من مؤلفات الهوية في كل بلد، أو وطن، أو أمة، بل الهوية مفهوم ذو دلالة لغوية واجتماعية وثقافية، يعني الإحساس بالانتماء إلى أركان الهوية التي هي الدين، والثقافة والاجتماع.

أما اللغة فهي الناطق الرسمي بلسان الهوية، ووسيلة إدراك العالم وتصنيف المجتمعات؛ ونظراً لخطرها وشموليتها فهي مسؤولية كل الجهات التي تكون عناصر المجتمع، مسؤولية المجامع ومؤسسات التربية وأجهزة الإعلام والمنظمات الثقافية، ووجهاء الأمة وبسطاء العامة؛

(١) ينظر: أهمية اللغة العربية في المحافظة على الهوية وتوطين المعرفة / د. أحمد درويش (مقال).

(٢) ينظر: اللغة العربية هوية وانتماء / عبد الله حمد الحقييل ص ١٣.

لأن اللغة هي الهوية ذاتها، وهي الأداة التي نحول بها المجتمع إلى واقع، وثقافة الأمة كائنة في لغتها، في معجمها وصرفها وتراكيبها ونصوصها، وما من حضارة إلا وصاحبها اللغة، وما من صراع بشري إلا ويكمن خلفه صراع لغوي خفي، فالهوية نتاج المعاني والقيم التي يُشَيِّدها الأفراد عبر اللغة، والطابع الخاص بمجتمع من المجتمعات ناتج من تفاعل ما يسري بداخله من خطابات لغوية مرتبهة بالمتغيرات التاريخية^(١).

"فإذا كانت اللغة بهذه المنزلة، وأبنائها حري صون عليها، ناهضون بها، فخورون بانتمائهم إليها، فهذا يدل على قوة اللغة، واعتزاز أبنائها بها، كل ذلك يؤدي إلى قوة اللغة وقوة أبنائها، وأنهم مالكون لأمر لغتهم؛ لأنها لسانهم الذي يتحدثون به، ودليل حضارتهم، ومن أجل ذلك ركز الاستعمار على لغة الشعوب؛ لأن الشعب إذا تحول عن لغته، استطاع المستعمر أن يفعل منه ما يشاء، وبذلك يحول فكره وعواطفه وثقافته ما دامت تحولت لغته، وبذلك انقطع الشعب من نسب لغته وماضيه، وما ذُلت لغة شعب إلا ذُلَّ أهلها، ولهذا وجدنا الاستعمار يفرض لغته على الأمة المستعمرة، ويبين للأمة قيمة لغة المستعمر وعظمتها، والأمة العزيزة لا تقدم لغة غيرها على لغة نفسها؛ لأن اللغات تتنازع القومية"^(٢).

واللغة العربية تمثل ركناً مكيئاً في بنية الهوية، وكانت هي نفسها مؤسسة قائمة على مؤسسة الدين والعقيدة التي ضمنت لها البقاء والانتشار؛ لأن القرآن الكريم حفظها من الزوال والاندثار، بالرغم من تعرضها في مراحل كثيرة من تاريخ العرب السياسي لزلزال التغيير، ولكنه لم يقوَ عليها؛ لأن العقيدة في نفوس المؤمنين قائمة، وكانت تستمد قوتها ونفوذها من الكتاب

(١) ينظر: الثقافة العربية في عصر المعلومات.. رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي / د. نبيل علي ص ٢٣٢، واللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح/ بسام بركة ص ٨٢.

(٢) الهوية وعلاقتها باللغة/ د. عبد التواب الأكرت (مقال) منشور على موقع كنوز المعرفة الإلكتروني.

الذي نزل بها، وكانت الهوية التي أقرها النص الشرعي هوية العقيدة والانتماء إلى الدين، ولكن حينما ضعفت دولة العرب بدخول الاستعمار وهيمنت لغته، ضعفت معها اللغة والهوية العقديّة، وتعرضت الأمة لأزمة ثقافية وسياسية واجتماعية خانقة، وظل فريق من المعاصرين لا يسلم للعربية سلطة الهوية مطلقة، بل اشترط إعادة صياغتها وفق مطالب الدولة الحديثة وإحداث خلخلة عميقة في بنيتها التركيبية والدلالية والمعجمية حتى تستجيب لحاجات العصر وتواكب التقدم، فإذا تم لها ذلك فليشرع في المعركة الأخرى، معركة الولادة الجديدة، وهي تعريب الفكر والحياة والمجتمع، وتعريب المؤسسات. والواقع أن مشروع التعريب الشامل أخفق في كثير من الدول العربية، ولم يؤمن تحرراً للأمة، بل ظلت ولا تزال تعاني تبعية اقتصادية وثقافية.

لكن اللغة العربية في ظل أزمة الاستلاب الخانقة لم تفقد مركزيتها على تفاوت بين الدول العربية في التربية والتعليم، ونالها نصيب كبير من النماء والتطور في معجمها ومصطلحاتها وميادين الكتابة الجديدة، ومجالات الإبداع والمعارف الإنسانية، فأسهمت في معالجة معضلة الهوية المهددة^(١).

اللغة العربية انعكاس لهوية الأمة العربية وواقعها:

"عندما نريد أن نتعرف على فضل اللغة العربية وقيمتها نجد أنه قد عرّف عظمة اللغة العربية من أطلع عليها وتعلمها وغاص في أسرارها من العرب في القديم والحديث، ولا عجب في أن يشهدوا بعظمتها؛ لأنهم أهل اللغة، والاطلاع على أقوالهم يزيدنا علماً وثقةً بها، لكن

(١) ينظر: التاريخ الفكري لأزمة اللغة العربية / د. صادق محمد نعيبي ص ٢٥ وما بعدها، واللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح / بسام بركة ص ٨٩، ٩٠، والهوية وعلاقتها باللغة / د. عبد التواب الأكرت (مقال).

الاطلاع على شهادات غير العرب في العربية له طعمٌ آخر؛ لأنهم عرفوا قيمة لغتنا وهم ليسوا منا، وهو ما يدفعنا إلى محاولة معرفة ما عرفوه منها، لنزداد اعتزازًا بها ونغرس الاعتزاز في نفوس أبنائنا؛ وذلك عندما ترى بعض العجم من غير المسلمين وهو يكيل المديح والإشادة بالعربية لما رآه فيها من مواطن العظمة.

من أجل هذا الواقع نحتاج جميعًا إلى ما يزيدنا قناعةً واعتزازًا بها، ومما يقنعنا بها قراءة تلك الأقوال سواءً قالها عربيٌّ أم غير عربيٍ للتأكيد بأن واقع الأمة العربية المتأزم والمتخلف والمريض، انعكس على واقع اللغة بإهمالها من قبل أبنائها وليس جمودها، كما تؤكد هذه الدراسة على كون اللغة الدينية لأي أمة من الأمم هي عماد هويتها الدينية^(١).

واللغة العربية في ماضيها المجيد وتراثها العريق تأتي في مُقدِّمة اللغات التي نجحت في القيام بدورها الحضاري الرفيع، وارتقت بأمة من مجتمع الصحراء المتواري لتكون هي ولغتها قائدة الحضارة والمعرفة على مستوى العالم قرونًا عديدة متوالية، ويكفي في هذا المقام أن نتذكر أنها شُرِّفت بحمل آخِر رسالات السماء إلى الأرض بلسان عربي مُبين.

اللغة العربية في مواجهة التحديات:

"رغم عظمة اللغة العربية ودورها الرائد في التعبير عن هُويَّة العرب وعزتهم، لكنَّها في حاضرها اليوم في حاجةٍ إلى أن تتذكَّر، وأن تستجمع قواها لمواجهة متطلِّبات الحاضر والمستقبل في المجال المعرفي والحضاري، وأن تنتهي بفضل وعي وهمة أبنائها للقيام بدورها الحقيقي في المحافظة على الهُويَّة، واستعادة بعض ملامح الوجه المهددة بالضِّياع.

ولنتذكَّر أننا في عصر تلعب فيه حالة لغات الشعوب — قوة أو ضعفًا — دورًا مهمًّا في

(١) اللغة العربية: هوية ومواطنة/ أ. علي نيمان القرني (مقال).

المحافظة على كيان الأمة، أو التفريط فيه، وتركه عرضةً لتقلبات الأهواء والأحداث من حوله، ولتذكّر - أيضًا - أننا في عصر تحرّص فيه اللغات الكبرى المُسيطرة على التّهام اللغات المُنافسة لها، أو إضعافها وتفتيتها، وأنها تلجأ في سبيل تحقيق ذلك الهدف إلى وسائل علمية وتعليمية وإعلامية، تمّ إعدادها ودراستها بدقّة شديدة، وتوازنت فيها المُغريات والعُقوبات، وتمّ دسّ السمّ بإحكام في معظم الأحيان، في آنية العسل؛ لكي ينجذب إلى الهدف المرسوم - بوعي أو بلا وعي - أبناء اللغة المستهدفة أنفسهم، ويكونوا أكبر عونٍ على تحقيق الغاية المُرادّة.

والقوى الكبرى التي تسعى إلى تحقيق مثل هذه الأهداف تعرف أنها لا تُحارب فقط كلمات وقواعد وتراكيب، وتراثًا شعريًا أو نثريًا، ولكنها تُحارب ما يرمز إليه ذلك كله، وتسعى إلى السيطرة على مُقدّرات أبناء هذه اللغة وثوراتهم، واستقلال ذواتهم، وصلابة قراراتهم؛ لكي يكونوا لقمّة سائغة في خدمة عجالات الإنتاج ومطامع التوسّع، وتحقق الأمن لدى أصحاب اللغات والأهداف الأخرى" (١).

"والذين لا يريدون الخير لنا ولهويتنا، وأدركوا أن العربية لها تأثير هائل عند العرب في تشكيل وعيهم الديني والثقافي، أرادوا لنا أن نسير في ركب التقدم، وأن نترك لغتنا، فهي لغة مندثرة صعبة التركيب، وعفا عليها الزمن، وأن نتّجه إلى لغة أخرى أكثر سهولةً ويسرًا فتتخلى عن قواعدها اللغوية والنحوية التي لا يرون طائلاً من ورائها، ولكنهم غفلوا عن حقيقة هامة، وهي أن اللغة التي يريدون أن نهجرها ونبدّلها بلغة أكثر سهولةً، هي اللغة التي اختارها الله مدادًا لقرآنه الخالد، والذي وعد الله بحفظه إلى أن تقوم الساعة، كما أنهم غفلوا عن أن هذه اللغة هي

(١) أهمية اللغة العربية في المحافظة على الهوية وتوطين المعرفة / د. أحمد درويش (مقال).

لسان العربية ودليل حضارتها"^(١)، وهذا يستوجب منّا النهوض للمحافظة على لغتنا رمز هويتنا ضد تلك الدعوات الهدّامة التي تريد النيل من اللغة العربية.

الحفاظ على اللغة العربية حفاظاً على الهوية (سيادة اللغة):

من جهود المحافظة على اللغة العربية ما قام به مجمع اللغة العربية بالقاهرة؛ حيث أوصى في إحدى جلساته بضرورة الحفاظ على اللغة العربية، محذراً من خطورة اتساع نطاق اللغات الأجنبية في التعليم على حساب اللغة العربية، وشدد على أهمية سيادة العربية في العملية التعليمية، وثمن دور مؤسسات المجتمع المدني في الحفاظ على اللغة التي هي عنوان الهوية وأساس الانتماء؛ حيث حذر المؤتمر — في ختام أعماله — من ظاهرة اتساع التعليم باللغات الأجنبية في مرحلتى التعليم العام والجامعي، واعتبر انتشارها يمثل "خطراً كبيراً على الهوية والانتماء لدى المتعلم، الذي سيصبح مواطناً فاقداً لما يربطه بوطنه ثقافةً وتاريخاً ومعرفةً.

وشدّد في توصياته على أهمية أن تكون "للعربية السيادة في العملية التعليمية، بدلاً من الوضع القائم الذي يؤدي إلى انكماش هذه اللغة، وفقدانها لدورها الأصيل، وافتقادها بالتالي للتطوير والثراء المعرفي الذي يجعلها وافيةً بمطالب العصر.

وثمن المؤتمر دور مؤسسات المجتمع المدني العاملة في مجال اللغة، في مواجهة اللهجات والعاميات السائدة في مجتمعاتنا العربية، ونزعات التغريب المتمثلة في إطلاق الأسماء الأجنبية على المحال والمنشآت والمؤسسات، وتجنب التسميات العربية.

ودعا المسؤولين عن التعليم والإعلام والثقافة في الأقطار العربية إلى "الاهتمام بدعم مؤسسات المجتمع المدني المهمة بالعربية، علمياً ومادياً ومعنوياً؛ حتى يمكنها العمل المتصل

(١) في التعريب والترغيب/ د. محمود فوزي المناوي ص ١٤٥.

والفعال، في كل ما تقوم به من خدمة تطوعية، وعمل وطني وقومي^(١).

فقد تضافرت الجهود للزود عن حياض العربية والدفاع عنها ضد الدعوات الهدامة التي تريد أن تنال من الهوية العربية في صورة اللغة العربية، فقد واجهت اللغة العربية تحديات كبيرة سواءً كان ذلك من أعدائها، أو من قبل بعض المنتسبين إليها، ومن ذلك: الدعوة إلى اتخاذ العامية لغة الكتابة والعلم والأدب بدل الفصحى، وهي دعوة هدامة خطيرة كل الخطر؛ حيث أراد منها دعواتها من أعداء الإسلام القضاء على الإسلام نفسه بالقضاء على القرآن والحديث وكل آثار العرب البيانية^(٢).

هذا ولعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا: إن مثل هذه الدعوات تعد من آفات اللغة العربية في العصر الحديث ومعمل هدم لتراثنا وديننا الخالد بخلود الفصحى لغة القرآن؛ ولذلك يقول الدكتور أنور الجندي: "لم تقف محاولات تحدي نمو اللغة العربية عند إيقافها عن التوسع والحيلولة دون حركتها مع انتشار الإسلام خاصة في قلب أفريقيا وجنوب شرق آسيا وفي المناطق الجديدة التي وصل الإسلام إليها، وإنما جرت المحاولات إلى ضرب اللغة العربية في مواطنها وهدمها في معاقلها حيثما وصل نفوذ الاستعمار وسلطانه؛ حيث فرضت لغة المحتل واعتبرت اللغة الأولى في المدارس والمعاهد التعليمية وأزيحت اللغة العربية أساساً، ثم جاءت الخطوة التالية مباشرة وهي الدعوة إلى العامية، وتشجيعها والاهتمام بها وبتبثها في مختلف جوانب الحياة من حديث وكتابة وإذاعة ومسرحيات وقصص. كما تقدم التبعية بالدعوة إلى انتقاص اللغة

(١) تنظر: توصيات لمجمع اللغة العربية في مؤتمره السنوي من دورته السابعة والسبعين لسنة ٢٠١١م - (مقال).

(٢) ينظر: قضايا ومشكلات لغوية/ د. أحمد عبد الغفور عطار ص ٦٨.

الفصحى ومحاولة وصفها بالتعقيد ووصف العامية باليسر"^(١).

كما يقول الدكتور صبحي الصالح: "والمشكلة الأخيرة التي تعترض العربية في العصر الحديث تتمثل في هذا الجدل البيزنطي العقيم حول العامية والفصحى، فمن دعاة العامية اليوم مَنْ يحتاج بصعوبتها وتعقيدها، وقد بينّا كيف يمكن تيسيرها، ومنهم من يميل إلى كتابة العربية بالأحرف اللاتينية أسوة بالأتركي، وقد أوضحنا أن الحرف العربي أجمل الحروف، وأن لا جدوى من استبدال غيره به، ومنهم من يبالغ في تصوير الخيبة التي تساور الأوربي المستشرق عندما يرى في البلد العربي الذي يُقدّم إليه أنّ عامة الناس تتحدث بغير الفصحى التي تعلّمها..."^(٢).

وتلك هي الآفة العظمى التي ينبغي لها من خلال التوعية الاجتماعية، عن طريق الإذاعة والتلفزة وإقامة ندوات تثقيفية وإلقاء محاضرات تحضُّ على استعمال اللغة الفصيحة، وتكليف طائفة من الباحثين الأكفاء بإذاعة أحاديث في الإذاعة والتلفزة لتوعية الجماهير، وإعلامهم أن اللغة الفصحى هي التي تجمع الأقطار العربية في وحدة لغوية تُيسّر التفاهم بين أبنائها، وإعلامهم أن الوحدة السياسية لا يتأتى تحقيقها إلا من طريق التوحيد اللغوي، وأن الانتماء إلى الأمة العربية يقتضي الاعتزاز بها والحرص على استعمالها في كل المجالات، وتذكير الجماهير في الوطن العربي بما كان للغتنا من شأن كبير في العصور المختلفة ولدى جميع الأمم التي انضوت تحت راية الدولة العربية الإسلامية^(٣).

والآفة الثانية التي جثمت على مجتمعاتنا هي: استعمال اللغة الأجنبية في التواصل بين

(١) الفصحى لغة القرآن/ د. أنور الجندي ١/ ١٢٦.

(٢) دراسات في فقه اللغة/ د. صبحي الصالح ص ٣٥٨، ٣٥٩.

(٣) ينظر: اللغة العربية: الهوية الانتماء/ د. معمر فيصل الخولي (مقال).

الناس، وكأن اللغة العربية لم تعد صالحة للتفاهم بين أفراد المجتمع، وحرص المسؤولون العرب على استخدام هذه اللغات في المقابلات واللقاءات الرسمية، بل حرصوا على استخدامها في داخل الأسرة الواحدة.

وعلى عكس ما قام به بعض العرب، فإن أوروبا وخاصة فرنسا كانوا من أشد الناس حرصاً على لغتهم والحفاظ عليها باعتبارها عنوان الهوية ورمز القومية، ومما يؤكد ذلك ما حدث منذ عهد قريب عندما نهض فجأة الرئيس الفرنسي الأسبق "جاك شيراك" وغادر قاعة مؤتمر أوربي لرجال الأعمال، وكان سبب غضبه قيام أحد رجال الأعمال الفرنسيين بإلقاء كلمته أمام المؤتمر باللغة الإنجليزية وليس بلغته الفرنسية. وهذا أبلغ دليل على خوف الفرنسيين على لغتهم الوطنية^(١).

وقد وضّح الدكتور محمد رفعت الزنجير أبرز التحديات التي تواجه اللغة العربية بأنها: "ترجع إلى نوعين، النوع الأول: تحديات داخلية وتمثل في الأزمة الحضارية التي تعيشها الأمة العربية؛ حيث وجدنا من يدعوا إلى هجر هذه اللغة الفصحى واستبدال العاميات المحكية بها، أو مزجها بالعاميات بدعوى التسهيل والتيسير، أو الاعتماد على اللغات الأجنبية بديلاً عنها، وكأن التطور لا يكون إلا بالانسلاخ من اللغة العربية، علماً أنّ هناك أمماً كثيرة قد تطورت مع حفاظها على لغتها القومية كاليابان والصين وروسيا وسائر الدول الأوروبية، فليست اللغة إلا وسيلة للبيان، ولا يمكن تحميلها مسؤولية الفوضى والتقهقر الحضاري الذي تعيشه الأمة على مختلف الأصعدة.

والنوع الثاني: تحديات خارجية، وتمثل في مزاحمة اللغات الأخرى لها، والغزو الفكري

(١) ينظر: اللغة العربية: الهوية والانتماء / د. معمر فيصل الخولي (مقال).

الوافد من الأمم الأخرى، والمتمثل في العولمة التي تريد ابتلاع ثقافات الأمم والشعوب، والقضاء على هذا التنوع اللساني في العالم" (١).

وبرغم أن اللغة العربية إحدى اللغات الرسمية المعتمدة في اليونسكو وفي هيئة الأمم المتحدة، فإن ممثلي الدول العربية يلقون ببياناتهم باللغة الإنجليزية، وأحياناً قليلة باللغة الفرنسية. وحتى في المنتديات والمؤتمرات التي تقام في عواصم الوطن العربي، ويشارك فيها الأجانب، يتحدث أبناء العربية باللغة الإنجليزية، فعلى سبيل المثال، عقد في أحد فنادق البحر الميت في المملكة الأردنية الهاشمية في شهر شباط/ فبراير ٢٠٠٧م، مؤتمراً يبحث استراتيجيات التعليم العالي العربية، وكانت اللغة الإنجليزية لغة المؤتمر المعتمدة مع أن عدد المشاركين الأجانب الذين لا يعرفون اللغة العربية في ذلك المؤتمر لا يتعدى العشرين من أصل أربعمائة مشارك كلهم من العرب، وكأن ذلك من دواعي الفخار، لا من إهدار الهوية والانسلاخ من الانتماء الذي يوحي به حديثنا باللغة القومية وهي المستودع الزاخر بالمعاني والأفكار والقيم، ومن هنا، هل يجوز القول: إن اللغة العربية كانت في مأزق؟ إن مأزقها أبنائها أنفسهم! وهي (استعمال اللغات الأجنبية) آفة مردّها إلى مركّب النقص في نفوس مستعملي اللغة الأجنبية، والتوعية الاجتماعية من وسائل علاج هذه الآفة، بإقناع أفراد المجتمع بأن الأمة التي تتخلّى عن لغتها وتستعمل لغة أخرى هي غير جديرة بالبقاء (٢).

ولم يفت صر استعمال اللغات الأجنبية، والإنجليزية خاصة، على أفراد المجتمع بل تجاوزهم فطغى على لافتات المحال التجارية والفنادق والمطاعم وغيرها، وعلى الإعلانات

(١) التحديات التي تواجه اللغة العربية في العصر الحديث / د. محمد رفعت زنجير ص ٥.

(٢) ينظر: سيادة اللغة العربية على اللغة الإنجليزية وتحديات العصر الحديث / سلوى إدريس بابكر ص ٤٩.

الموضوعة في الطرق. ومن يسير في شوارع عمّان أو القاهرة أو غيرها من العواصم العربية فعينه تكاد لا تقع على لافتة واحدة باللغة العربية، فكأن سمعة المحل لا ترقى إلا باستعمال اللغة الأجنبية. واستأثرت الشركات والمؤسسات العالمية بمنافذ العمالة، وجعلت اتقان اللغات الأجنبية شرطاً للتعيين بها، وفرضت ذلك فرضاً على التعليم.

وفي أقطار الخليج العربي هيمنت اللغات الآسيوية الوافدة مع العمالة التي تستعين بها في مختلف الميادين والمجالات. ولا يقف التحدث بها عند حدّ هذه العمالة، بل انتشرت بين أبناء الخليج مما جعل اللغة العربية فيها لغة "هجين"، والخوف أن تصبح في المستقبل لغة الأقلية في أوطانها^(١).

" فاللغة العربية تُتهم اليوم بأنها ليست لغة المعارف والعلوم الحديثة؛ وذلك بسبب ابتعادها اليوم عن الإنتاج المعرفي في بعض العلوم التخصصية والحيوية، والاعتماد على اجترار اللغة التراثية من التاريخ والأدب فحسب، وهذا ما جعل البعض يرى لغتنا العربية تنحسر، ونادى بوجوب تبديلها بلغات أخرى لمواكبة العصر الحديث الذي نعيشه، وهنا لابد لنا من وقفة؛ فالأسباب الرئيسة لسيادة لغات أخرى في العالم غير العربية كالإنجليزية والفرنسية هو: أن النهضة العلمية الحديثة كانت من نتاج أبناء هذه اللغات من الغربيين، فمنذ القرن التاسع عشر وإلى هذا اليوم مازالت هذه اللغات مادة إنتاج حيوية للعلوم المحضنة والتجريبية في شتى المجالات الطبية والفيزيائية والكيميائية والرياضية وغيرها، وهي أصبحت محل اقتداء واقتباس بسبب الفائدة العظيمة التي قدمتها للإنسانية وما فعلته من نقلة نوعية في سلم التطور والرقي في تاريخ الحضارات البشرية، ومن الطبيعي أن تدرس هذه المعارف في مناشئها وتنقل بأفكارها

(١) اللغة العربية: الهوية والانتماء / د. معمر فيصل الخولي (مقال).

الأصلية ولغاتنا الأجنبية؛ لأنها ليست من نتاج العربية أصلاً. وهذا يعد بلا شك من الأمور الخطيرة التي تشير إلى تراجع أبناء العربية في مواكبة العصر والإنتاج المعرفي في العصر الحديث، بعدما كانت تقوم بذلك في سنوات وعصور سابقة، فمن منّا لا يتذكر علماء ينتسبون للعربية قد أنتجوا معارف وعلوم مازالت ثمارها تفيدها حتى هذه اللحظة في مختلف أنحاء العالم، من منّا لا يتذكر جابر بن حيان والحسن بن الهيثم وابن سينا والفارابي والرازي وغيرهم الكثير والكثير ممن أنتجوا لنا العلوم والمعارف التي قام علماء من الغرب في أوروبا وغيرها بعدما تعلموا العربية بترجمة تلك المعارف والعلوم والاستفادة منها في ثورتهم العلمية"^(١).

"ولهذا ابتكر أصحاب هذه الدعوة أسلوباً للسيطرة على ثقافات الشعوب ولغاتنا وهويتها وحضاراتها وأسلوبها ظاهره نشر المعرفة وباطنه السيطرة على الأمم ثقافياً ومعرفياً وسياسياً، فالعولمة من أخطر التحديات التي تواجه اللغة العربية، ولغتنا تتعرض اليوم لهجمات فتاكة من دعاة العولمة، وهم يزعمون أنها لم تعد صالحة في هذا العصر لأن تكون وعاء للتقدم العلمي والتقني، ومن الخير استبدال اللغات الأجنبية، ومنها الإنجليزية باللغة العربية، بغية استيعاب المعطيات الحديثة، ودعاة العولمة يهيون بالأمة العربية أن تجعل تراثها وراء ظهرها وأن تسير في ركب الأمم المتقدمة لتحظى بالتقدير والتقدم، ومن هنا جاءت الدعوة إلى إنشاء شرق أوسط جديد يغير في مفاهيمه وثقافته وتوجهاته السياسية ثقافة الأمة العربية. ونشير هنا إلى بعض معالمه ومشاريعه التي تهدف إلى طمس الهوية العربية:

١. إعادة تعريف هوية الدول العربية؛ نذكر على سبيل المثال العراق اليوم يُنظر له بوصفه بلد مكونات، ويشهد محاولات لنفي هويته العربية، والأمر ينطبق على السودان، الذي أضحي نهياً

(١) لغة الضاد... وتحديات العصر!! / محمود إبراهيم سعد (مقال).

لمشاريع تقسيمية.

٢. المشروعات الرامية إلى استبعاد مصطلح العروبة والعربية والوطن العربي والأمة العربية، كمشروع الشرق الأوسط الجديد، ومشروع الشراكة الأوروبية المتوسطية.. الخ.

٣. المشروعات العاملة على استبعاد اللغة العربية من بين اللغات العالمية في هيئة الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها، واستبعادها من امتحانات الشهادة الثانوية على أنها لغة ثانية في فرنسا، واعتماد اللهجات العامية للأقاليم العربية "مثل إقليم المغرب العربي، وإقليم مصر والسودان، وإقليم بلاد الشام والعراق، وإقليم الخليج العربي".

٤. المشروعات العاملة على تلقي مواد المعرفة باللغة الانجليزية في المدارس والجامعات الخاصة في دول الخليج العربي، واللغة الفرنسية في دول المغرب العربي، والعاملة على تعزيز اللهجات الدارجة في القنوات الفضائية وعلى شبكة الانترنت.

٥. المشروعات الهادفة إلى التعميم على الحضارة العربية الإسلامية، وتشويه التاريخ العربي وتزويره، والداعية إلى قطع العلاقة مع التراث "قتل الأب على حد تعبير دعائها"^(١).

وهذا كله يوجب علينا ببساطة شديدة النهوض العلمي في بلداننا والتفكير بلغتنا وتفجير الطاقات العقلية الممزوجة بلغة الضاد، فاللغة العربية بلا شك هي مصدر قوة هائلة؛ ولذا فهي مازالت ثابتة وكائنة على مدار الأزمان المختلفة.

أقول أخيراً: إن لغة الضاد كانت وستظل أبداً منارة علم وأدبٍ ومعرفةٍ، وستكون أقوى

(١) اللغة العربية: الهوية والانتماء / د. معمر فيصل الخولي (مقال).

بجهود أبنائها وعلمائها من أهل العربية الذين يجب عليهم التفكير دومًا في تلك التحديات التي تواجه لغتنا الجليلة والعمل على التصدي لها والتغلب عليها^(١).

"ومن أكثر العوامل محافظة على هذه اللغة ربما يكون في تبني الدول العربية سياسات إعلامية وثقافية، وتعليمية جديدة وسيلة لتدارك ما يمكن حدوثه، وذلك بالعودة إلى استعمال اللغة الفصحى المبسطة التي يفهمها الناس جميعًا، في المدارس والمنابر الإعلامية والجامعات، ومعاهد التعليم؛ وذلك عبر قرارات ملزمة يسهر على تنفيذها مع العمل على تبسيط القواعد وعدم التركيز على ما هو شاذ ونادر لصالح الشائع السائغ، مع العمل على رفع السوية الثقافية والمعرفية، والتركيز على استعمال الفصحى المبسطة، في مراحل التعليم جميعها.

ومن بين وجهة النظر هذه، إلزام المدارس والجامعات الخاصة التدريب على أساليب اللغة العربية في التعليم بمراحله المختلفة، وتنمية قدرات المتعلمين على استخدام اللغة لتصبح أداة سهلة الاستعمال في التعبير عن الذات، وعن حاجاتها، تحدُّثًا وكتابةً، والعناية بالترجمة العلمية والتقنية والأدبية، ومحاولة تسهيل تعلم العربية لغير الناطقين بها مع الحث على تعلُّم اللغات الأخرى"^(٢).

(١) ينظر: لغة الضاد... وتحديات العصر!! / محمود إبراهيم سعد (مقال).

(٢) أبرز تحديات اللغة العربية / فهد المضحكي، (مقال) بصحيفة الأيام البحرينية.

تعقيب:

ظهر من خلال ما سبق مفهوم الهوية، وأنها مجموعة من الخصائص والملامح التي تتكون منها الشخصية المتميزة لشعب من الشعوب، ولكل فرد من أفراد المجتمع هوية شخصية وهوية اجتماعية.

وقد اتضح كذلك أن علاقة الهوية باللغة علاقةً جدليةً تفاعلية؛ وأن اللغة هي الناطق الرسمي بلسان الهوية، ووسيلة إدراك العالم وتصنيف المجتمعات؛ لأن اللغة هي الهوية ذاتها، وهي الأداة التي نحول بها المجتمع إلى واقع، وثقافة الأمة كائنة في لغتها، في معجمها وصرفها وتراكيبها وخصوصها، وما من حضارة إلا وصاحبها اللغة، وما من صراع بشري إلا ويكمن خلفه صراع لغوي خفي، فالهوية نتاج المعاني والقيم التي يُشَيِّدها الأفراد عبر اللغة، والطابع الخاص بمجتمع من المجتمعات ناتج من تفاعل ما يسري بداخله من خطابات لغوية مرتَهنة بالمتغيرات التاريخية.

أما عن اللغة العربية فهي تمثل ركنًا مكيّنًا في بنية الهوية؛ حيث تستمد قوتها ونفوذها من الكتاب الذي نزل بها، وهي تعد انعكاسًا للهوية الأمة العربية وواقعها؛ حيث تجسّد حالها بين قوتها وضعفها، رغم عظمة اللغة العربية ودورها الرائد في التعبير عن هوية العرب وعزتهم، لكنّها في حاضرها اليوم في حاجةٍ إلى أن تتدكّر، وأن تستجمع قواها لمواجهة متطلبات الحاضر والمستقبل في المجال المعرفي والحضاري؛ وذلك في مواجهة التحديات؛ وهو ما يستلزم تضافر الجهود للزود عن حياض العربية، والدفاع عنها ضد الدعوات الهدامة التي تريد أن تنال من الهوية العربية في صورة اللغة العربية.

كما كشف البحث عن أهمية اللغة العربية في الحفاظ على الهوية، وأنها ذات فضلٍ وقيمةٍ كبيرة، وهذا ما شهد به غير العرب قبل أبنائها، وأنها جاءت في مقدّمة اللغات التي نجحت في

القيام بدورها الحضاري الرَّفيع، وارتقتْ بأمة من مجتمع الصحراء المتواري؛ لتكون هي ولغتها قائدة الحضارة والمعرفة على مستوى العالم قرونًا عديدة مُتواليّة.

ومع ذلك فقد واجهت اللغة العربية تحدياتٍ كبيرةٍ سواءً كان ذلك من أعدائها، أو من قبل بعض المتتسبين إليها، ومن ذلك:

- الدعوة إلى اتخاذ العامية لغة الكتابة والعلم والأدب بدل الفصحى
- استعمال اللغة الأجنبية في التواصل بين الناس، وكأن اللغة العربية لم تعد صالحة للتفاهم بين أفراد المجتمع. وفي مواجهة هذه التحديات فقد هيأ الله لها من أبنائها مَنْ يزود عن حياضها، ويدافع عنها ضد الدعوات الهدامة التي تريد أن تنال من الهوية العربية في صورة اللغة العربية، ومن ذلك ما قام به مجمع اللغة العربية بالقاهرة؛ ومؤسسات المجتمع المدني والهيئات التعليمية والبحثية من جهود للتوعية بأهمية المحافظة على اللغة العربية؛ لأن في ذلك حفاظٌ على الهوية والبعث عن الاندثار في حضارات الشعوب الأخرى - حفظ الله العربية من كيد أعدائها وجعلها تاجًا على رؤوس أبنائها.

المبحث الثاني

دور اللغة العربية في ترسيخ قيم الانتماء والمواطنة

توطئة:

من "المعروف أن الإنسان بطبيعته كائن متمم، فلا يستطيع أن يشكل وجوده أو يعيش حياته بمعزل عن الآخرين. ولا يستطيع كذلك أن يبدع لغة خاصة تعزله عن سواه من البشر، الذين يشاركونه، أو بالأصح يشاركونهم واقعهما الاجتماعي والسياسي والثقافي.

وهذا الواقع المشترك الذي يفرض الهوية المشتركة، هو الواقع نفسه الذي يفرض الانتماء إلى هذه الهوية دينية كانت، أو لغوية، أو وطنية. والهوية لا تتأتى بين يوم وليلة؛ وإنما هي خلاصة تعايش طويل لقوم أو مجموعة أقوام تحدد بمرور الزمن مكانهم الجغرافي، وتحدد معالم لغتهم المشتركة وقواعدها، وتحدد معها طموحاتهم وأحلامهم، وصاروا بحكم ذلك التكوين متممين بالضرورة إلى هذا المكان وهذه اللغة. وأي تصدع في جدار الانتماء لابد أن يصدر تصدعات واسعة في جدران الهوية والمكان واللغة"^(١).

أهمية اللغة تنبع من وظيفتها في المجتمع محلياً ودولياً:

مما لا شك فيه أن أهمية اللغة الأم (الوطنية) في المجتمع ترتبط بالوظائف التي تؤديها سواء على المستوى المحلي أو الوطني أو العالمي. وحتى تؤدي اللغة وظيفتها في المجتمع لابد من تأهيلها. فمن المعلوم أن اللغات تختلف من حيث خصائصها اللسانية ومن حيث تطورها، ومن حيث أهميتها في المجتمع، وهذا ما يجعلها مؤهلة لأداء بعض الوظائف وغير مؤهلة لأداء بعضها الآخر^(٢).

(١) اللغة العربية: الهوية والانتماء / د. معمر فيصل الخولي (مقال).

(٢) إسهام اللغة العربية وأهميتها في تعزيز وترسيخ قيم المواطنة / د. أحمد غيث أحمد ص ١٦٣، ١٦٤.

ومن هنا فلا بد أن تتوفر في اللغة مجموعة من الشروط اللسانية الاجتماعية حتى تتمكن من أداء وظيفة بعينها، وقد أطلق اللسانيون الاجتماعيون على مدى قدرة اللغة على أداء الوظائف مصطلح الإمكان الوظيفي، ويرى فلوريان أن: "الإمكان الوظيفي للغة ما هو دائماً نتيجةً لعمليات تاريخية تتعلق بكل اللغات والظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لجماعتها المتحدثة بها"^(١).

وهذا يدل على أن تأهيل اللغة لأداء وظيفة لا يرتبط بذات اللغة فقط - أي بنيتها ومعجمها ومدونتها - بل يرتبط أيضاً بهوية الجماعة وثقافتها وسياستها، فقد تكون لغة ما أكثر تطوراً من لغة أخرى لكن إمكانها الوظيفي في المجتمع أقل^(٢)، ومثال ذلك أن اللغة الإنجليزية أكثر تطوراً من اللغة الفرنسية، لكن ولأسباب تاريخية سياسية واجتماعية نجد أن الإمكان الوظيفي للغة الفرنسية في مجال البحث العلمي في الجزائر أكبر من الإمكان الوظيفي للغة الإنجليزية^(٣).

الإمكان الوظيفي وأهميته للغة العربية:

إن الإمكان الوظيفي للغة العربية الفصحى يتأتى من عناء تكونها وتسنُّمها هذه المكانة الرفيعة، ليس في نفوس أبنائها الذين صنعوها عبر تاريخهم الاجتماعي والسياسي والثقافي والاقتصادي وحسب، بل في نفوس غيرهم من الشعوب، سواء أنطقوا بها أم لم ينطقوا؛ لأن البحث العلمي الدقيق يظهر فرادة هذه اللغة وتأثيرها في مجتمعات كثيرة، كُشف عن بعضها، وبقي البعض الآخر ينتظر الجهود لكشفه.

(١) اللغة والاقتصاد/ فلوريان كولماس ص ٨٦.

(٢) ينظر: اللغة والاقتصاد/ فلوريان كولماس ص ٣٠٩.

(٣) إسهام اللغة العربية وأهميتها في تعزيز وترسيخ قيم المواطنة ص ١٦٤.

وحتى يكون الإمكان الوظيفي للغة العربية شاملاً وموسعاً فلا بد أن يعمل على " التغيير الإيجابي في حياة المواطنين ب صورة عامة، لا من الجوانب الاقتصادية والاجتماعية فحسب، ولكن أيضاً من الجوانب التربوية والثقافية، وما يتصل بهما من بناء الشخصية الفردية والمجتمعية المتحررة من قيود التخلف والتبعية" (١).

أهمية اللغة العربية في بناء الفرد العربي، وتجسيد الحضارة والإبداع الفكري للعرب:

فاللغة الأم (الوطنية) " تشكل الركيزة الأساسية في بناء المجتمعات، وليس هناك لغة خارج المجتمع، ولا مجتمع من غير لغة. وفي حال العرب فاللغة العربية الفصحى هي الركيزة الأكثر أهمية في وجودهم. فعلاوة على تبادل التواجد بين اللغة والمجتمع، ثمة خصوصية للغة العربية الفصحى اكتسبتها من كونها لغة الدين الذي يعتنقه معظم العرب. بالإضافة إلى أنها وعاء الإبداع وأداته. بها تصنع ركائز المستقبل، وعليها يقوم التعبير عن الشخصية، وإلا أصبحت جماداً غير ناطق؛ لذلك فإن اللغة هي أضخم عملية حضارية تنشئ الحضارة، وتتمثلها وتعبّر عنها، وهي ذات رصيد حضاري، لا حدود له، ولهذا فإن نمو لغتنا وازدهارها وقيامها بدورها الفكري هو معلم بارز من معالم حياتنا الحاضرة، وطريق أساس من طرق بناء المستقبل" (٢).

من هنا تبدو أهمية اللغة العربية وأهمية تعلمها وتعليمها، لا باعتبارها مادة دراسية مقررة فحسب، ولكن بوضعها محورياً أساساً في بناء الفرد العربي بكل جوانبه، فمن أبرز طموحات

(١) اللغة العربية والتنمية الشاملة في المغرب العربي بين المبدأ والتطبيق / عبد اللطيف عبيد ص ٢٨٣.

(٢) ينظر: قضايا اللغة العربية المعاصرة، بحث في الإطار العام للموضوع، ضمن كتاب: من قضايا اللغة العربية المعاصرة ص ٣٢، وراهن اللغة العربية في أوطانها ومسؤولية أبنائها نحوها / د. محمد بو حجاج ص ١٦٩.

اللغة العربية في هذا العصر أن تكون لغة العلم والحضارة، مثلما كانت خلال العصور الزاهية^(١). "وقد كانت اللغة العربية، وما زالت وثيقة الصلة بهوية هذه الأمة ووجودها وشخصيتها وخصائصها، فقد وعت منذ أمدٍ بعيدٍ تكوين الأمة الحضاري، وواكبت تطور تراثها الثقافي في العلوم والآداب والفنون والتشريع والفلسفة، وتعهّدت نقله من جيلٍ إلى جيل، عبر العصور، فهي قلب الأمة النابض وجهازه المحرك"^(٢).

"ومن هذا المنطلق كانت اللغة العربية الرباط الذي جمع قديمًا قبائل متعددة، وهي اليوم الرباط الذي يجمع شعوبًا مختلفة الأعراق، متنوعة الأنظمة السياسية، ومتباعدة جغرافيًا في هُويّة واحدة، أساسها اللغة العربية، تسمى الأمة العربية"^(٣). "فاللغة العربية تشكل عنصر الارتكاز في الكيان العربي والإسلامي، وبؤرة انصهار عناصر تكوين الأمة العربية والإسلامية، ومحور انبعاث أشعة الوجود العربي والإسلامي، من دونها لا تكون لهما حياة ولا حسٌ. من هنا كانت الأمة العربية والإسلامية تلتفتُ حول اللغة العربية، جاهدة في المحافظة على وحدتها"^(٤).

فاللغة الأم (الوطنية) "تشكّل الركيزة الأساسية في بناء المجتمعات، وليس هناك لغة خارج المجتمع، ولا مجتمع من غير لغة. وفي حال العرب فاللغة العربية الفصحى هي الركيزة الأكثر أهمية في وجودهم. فعلاوة على تبادل التواجد بين اللغة والمجتمع، ثمة خصوصية للغة العربية الفصحى اكتسبتها من كونها لغة الدين الذي يعتنقه معظم العرب. بالإضافة إلى أنها وعاء الإبداع وأداته. بها تصنع ركائز المستقبل، وعليها يقوم التعبير عن الشخصية، وإلا أصبحت جمادًا غير

(١) ينظر: إسهام اللغة العربية وأهميتها في تعزيز وترسيخ قيم المواطنة ص ١٦٥.

(٢) اللغة العربية ومكانته في الثقافة العربية الإسلامية/ جميل عيسى الملائكة ص ٢٣.

(٣) اللغة والهوية والتعددية اللسانية/ د. عبد المجيد حنون ص ٨٨.

(٤) راهن اللغة العربية في أوطانها ومسؤولية أبنائها نحوها ص ١٧١.

ناطق؛ لذلك فإن اللغة هي أضخم عملية حضارية تنشئ الحضارة، وتمثلها وتعبر عنها، وهي ذات رصيد حضاري، لا حدود له، ولهذا فإن نمو لغتنا وازدهارها وقيامها بدورها الفكري هو معلم بارز من معالم حياتنا الحاضرة، وطريق أساس من طرق بناء المستقبل^(١). وهذا ما يدعونا إلى النظر في الترابط بين اللغة والمجتمع ودوره في الترسيع لقيم الانتماء والمواطنة؛ على أساس أن علم اللغة الاجتماعي يعد أحد فروع علم اللغة الحديث، ومن خلاله يمكن رصد ومتابعة هذه الأمور المجتمعية ودور اللغة في ترسيخها وخاصة في مجتمعنا العربي والإسلامي؛ في هذا العصر الذي يموج بالصراعات والتشردم، والتحديات الجسام التي تواجه اللغة العربية، وهذا ما سوف يتضح فيما يأتي.

الترابط بين اللغة وعلم الاجتماع ودوره في ترسيخ قيم المواطنة والانتماء:

عندما نحاول الكشف عن التأثير المتبادل بين اللغة وعلم الاجتماع، وأوجه الترابط بينهما بما يرسخ قيم الانتماء والمواطنة في المجتمعات العربية نجد " أن اللسانيات الاجتماعية تنطلق من التأكيد على أن الظواهر اللغوية _ بما فيها تحديات المواطنة اللغوية _ ترتبط بالمشكلات الاجتماعية لوجود صلة متينة بين اللسانيات، وعلم الاجتماع؛ ولذلك ضم بعض العلماء علم اللغة إلى العلوم الاجتماعية؛ لأن تأسيس اللغة يرجع إلى المجتمع، والإنسان، ووظيفتها الأساسية، التخاطب، والتواصل الاجتماعي؛ لذلك تركز اللسانيات الاجتماعية على تأثيرات اللغة في المجتمع، وتأثيرات المجتمع في اللغة، إضافة إلى الوظيفة التواصلية والاجتماعية للغة فهناك وظيفة ثقافية ووطنية تبنتها اللغة، وهي دورها في ترسيخ المواطنة والهوية والإبداع والانتماء كونها تعبر عن الحضارة الإنسانية، والقيم، والثقافة الوطنية، وتؤدي دوراً في اندماج

(١) ينظر: قضايا اللغة العربية المعاصرة ص ٣٢، وراهن اللغة العربية في أوطانها ومسؤولية أبنائها نحوها ص ١٦٩.

الفرد في مجتمعه من خلال استخدامه اللغة الوطنية الرسمية أو اللهجات العامية التي بدورها تعبر عن سمة من سمات الهوية الوطنية للمجتمع، ويؤكد العالم هدسون على دور اللغة الثقافي وارتباطها بالسلوك الاجتماعي في قوله بأن "اللغة ظاهرة ثقافية داخل السلوك البشري" (١).

وعلى ذلك نستطيع القول: "إن الثقافة هي روح المجتمع والأساس الذي يجمع أفراده ويجعلهم يعيشون معاً، وهو أمر لم يكن ليحدث لو لم تكن اللغة، كون هذه الأخيرة تتربع على عرش هرم ثقافات المجتمعات، وتعكس لنا كل ما فيها من حالات السلب والإيجاب، وهذا ما يؤكد سوابير في أعماله، فقد اعتبر كل نموذج ثقافي، وكل عمل معين من أعمال السلوك الجماعي يشتمل على اتصال إما ظاهر أو خفي، وعليه فالمجتمع لا يمكن فهمه إلا من خلال بيئته ومن خلال ثقافته، ولا يمكن فهم ثقافته إلا من خلال لغته. فاللغة تتيح للمجتمع الطريقة التي يتصرف ويفكر بها؛ ونظراً لذلك فإنه لا يستطيع رؤية العالم إلا من خلال لغته؛ أي أن الإنسان يعيش تحت رحمة اللغة، ومفادها أن الفرد يعيش في قفص لغوي. ولغة المرء تؤثر على تفكيره ورؤيته للأشياء، وإدراكه للواقع؛ أي أن اللغة تفرض علينا نظاماً معيناً، يمكننا من خلاله اعتبار اللغة سجلاً أو مظهرًا للحضارة المجتمع. فاللغة جزء من كيان المجتمع، وكيان حضارته، ولما تبين أن اللغة وسيلة حفظ الحضارة البشرية والارتقاء بها ازدادت أهمية الاعتناء بها، ودراستها، فكتبت العديد من الدراسات، والمقالات والكتب وألقيت المحاضرات وعقدت الندوات العلمية، كلها لما للغة من أهمية في السياق اللساني الاجتماعي، فأصبحت المقاربة بين اللسانيات الاجتماعية من أكثر العلوم دراسةً للغة في السياقات اللسانية الاجتماعية" (٢).

(١) علم اللغة الاجتماعي / د. هدسون ص ١٣٥، ترجمة/ د. محمود عياد، وجدلية اللغة والمجتمع / سمراء شلواش

ص ٣٤ (رسالة ماجستير)، والمواطنة اللغوية من منظور اللسانيات الاجتماعية / د. بدرية بنت ناصر الوهيبية (مقال).

(٢) أهمية اللغة في السياق اللساني الاجتماعي / محمد همو (مقال).

وترسيخاً لذلك فقد دأب علماء اللسانيات الاجتماعية على توضيح العلاقة بين اللغة والهوية والحياة الاجتماعية في الظواهر اللغوية التي تعد نتاج نشاط اجتماعي، ووسيلة يستخدمها المجتمع في نقل ثقافته من فردٍ لفرد، ومن جيلٍ إلى جيل، كون اللغة تمثل الوعاء الفكري لثقافة المجتمع، وبالتالي فهي تعبر عن سمات الانتماء الاجتماعي والثقافي للفرد؛ لأنها تمثل في كل مجتمع جيناً وراثياً تنقل سماته من الآباء إلى الأجيال الأخرى^(١)، من هنا تظهر أهمية اللغة ودورها الرائد في تشكيل فكر وثقافة المجتمع، وترسيخ الثقافة الوطنية لأفراده؛ مما يدعو المجتمع إلى ضرورة المحافظة على هذه اللغة في ظل تأثيرات العولمة والمتغيرات العالمية والانفتاح الثقافي على الحضارات الأخرى، وهي أخطار تهدد اللغة العربية؛ إذا لم يتم التكاتف والتخطيط السليم المنظم لمواجهة ذلك.

ضرورة الحفاظ على اللغة العربية:

في ظل تأثيرات العولمة، والمتغيرات العالمية، والانفتاح الثقافي على الحضارات الأخرى فإنَّ هناك حاجة ماسّة لتعزيز قيم المواطنة اللغوية والأمن اللغوي على المستوى الوطني؛ حيث يؤكد الباحثون في علم الاجتماع اللغوي، والمهتمون بقضايا السياسات اللغوية على أن اللغة العربية ستفقد قواها وسماتها؛ إذا لم يتم التخطيط لسياسة واضحة تنظمها؛ لذلك فإنَّ أسس المواطنة اللغوية تفرض استخدام اللسان الوطني للدولة وهي اللغة العربية، التي لها دور كبير في تعزيز قيم الهوية الثقافية، وترسيخ الثقافة الوطنية، لذلك فإنَّ التخطيط السليم لمواجهة المخاطر التي تهدد سلامة اللغة العربية وحمايتها من الاندثار والضياع في ظل الفوضى اللغوية الحاصلة، سواء أكان على مستوى التعليم، أم على مستوى استخدامها العملي في الحياة المهنية والرسمية

(١) ينظر: المواطنة اللغوية من منظور اللسانيات الاجتماعية (مقال).

في المؤسسات العامة والخاصة يعد واجباً وطنياً يفرضه علينا الواقع المعاصر.

وذلك لأن اللغة هي أهم ما يميز الهوية الثقافية للأمة ويحدد ولاء شعبها؛ حيث إن معظم الدول توحدتها لغة أم واحدة تخلق أو تمثل أقوى رابطة بين مواطنيها. يتعلق هذا بالعديد من الدول في العالم التي يوجد فيها تبادل متبادل لتسمية اللغة أو اللغة التي يتم تسميتها على اسم الناس، مثل الصينية والفرنسية والعربية والبرتغالية والروسية والإسبانية، وما إلى ذلك.

وبما أن اللغة أداة تمكين للدول الأخرى لنقل ثقافتها وخرزانا لفكرها وأدبها وتاريخها، فهي موضوع فخر لكل أمة، والأمة العربية ليست استثناء؛ إذ تلعب اللغة العربية دوراً محورياً في تنمية الشخصية العربية ثقافياً وفكرياً ونفسياً في الماضي والحاضر وستستمر في ذلك في المستقبل؛ ولأن اللغة هي أساس الهوية الموحدة للأمة، فإن خسارتها ينذر بانقسام المجتمع وزوال إمكاناته.

إن اللغة العربية ليست مجرد أداة للتواصل، بل هي هويتنا وماضينا الذي يحفظ تراثنا وتاريخ أجدادنا. إنها لغة إيماننا، التي بدونها لن تكتمل شعائرتنا الدينية؛ إنها مستقبلنا الذي بدونه نفقد ما يميزنا كأمة وما يربطنا بماضينا؛ وهي حاضرنا الذي بدونه لا يمكن وصفنا كأمة^(١).

لذلك وتقديرًا للدور المحوري الذي تلعبه اللغة العربية في ترسيخ قيم الانتماء والمواطنة فقد "اتخذت بعض الدول العربية سياسة واضحة في حماية اللغة العربية من خلال إقرار التشريعات والسياسات اللازمة لتقنين استخدام اللغات، ومن أهم التجارب العربية في المحافظة على المواطنة اللغوية تجربة دولة قطر؛ حيث أقرت مشروع قانون حماية اللغة العربية في دولة قطر ٢٠١٥م، ويأتي هذا المشروع في سياق تمكين اللغة العربية في المؤسسات والإدارات القطرية والمحافظة عليها أسوة بتجارب الدول المتقدمة، وضمان عدم مزاحمة اللغات الأجنبية لها؛ حتى

(٣) لماذا يجب علينا الحفاظ على اللغة العربية/ د. حمد بن عبد العزيز الكواري، (مقال) على موقع عرب أوج.

لا تفقد سيادتها في أوطانها، ويعمل المشروع على تأكيد القرارات الرسمية الصادرة عن مجلس الوزراء بشأن احترام اللغة العربية والمحافظة عليها، وبأنها ملزمة لجميع المؤسسات التربوية والتعليمية والأكاديمية والعلمية ووضعها موضع التنفيذ؛ للحد من الاستهتار والتمادي في البعد عن لغة الوطن والأمة، أسوة بما هو معمول به في الدول المتقدمة. ويحقق مشروع قانون حماية اللغة العربية في قطر ما نصت عليه المادة الأولى للدستور القطري: أن الإسلام دين الدولة واللغة العربية لغتها الرسمية، ومن أبرز المشروعات التي وضعتها دولة قطر، كذلك في حماية اللغة العربية إنشاء المنظمة العالمية للنهوض باللغة العربية عام ٢٠١٣م، لدعم عملية التعليم والتعلم باللغة العربية الفصيحة، وتفعيل دور العربية في مجالات البحث العلمي المختلفة وتأثيرها الإيجابي في اقتصاد المعرفة بشكل خاص، والاقتصاد العربي بشكل عام^(١).

لذلك فإن اعتماد تخطيط لغوي واضح وفق سياسة لغوية سيساعد في تعزيز المواطنة اللغوية وحماية اللغة العربية؛ لأن هذه السياسة ستسهم في تحديد أدوار اللغة الوطنية الرسمية وأدوار اللغات الأخرى، بالإضافة إلى تنظيم استخدامها في المؤسسات التعليمية، واستحداث مراكز للترجمة، وتنظيم استخدامها في المؤسسات والشركات العامة والخاصة وفق معايير محددة، ومن ثم ستساعد المواطنين على استخدام لغتهم الأم في مهامهم الوطنية دون صراع وتنافس مع اللغة الأجنبية الدخيلة على المجتمع والتي فرضت هيمنتها دون تقنين يحد من استخدامها، كذلك تنظيم اللغة الإعلانية من خلال اللافتات والإعلانات وواجهات المحال بإلزامها باعتماد اللغة الرسمية^(٢).

(١) المواطنة اللغوية من منظور اللسانيات الاجتماعية (مقال).

(٢) ينظر: المرجع السابق.

تعقيب:

ظهر من خلال ما سبق أنّ اللغة العربية لها تأثير كبير في ترسيخ قيم الانتماء المواطنة في المجتمع بين الشعوب العربية والإسلامية. فالواحد من الناس يألف من يتكلم بلسانه، ويقترّب منه أكثر من غيره... فكل أهل بلد لهم رابطة توحدّهم، ومستقرّ يجمعهم، وأقوى دافع لهم في ذلك كون لهجاتهم واحدة. يقول الرافعي رحمته الله: "ما ذلّت لغة شعبٍ إلا ذلّ، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهابٍ وإدبارٍ، ومن هذا يفرض الأجنبيّ المستعمر لغته فرضاً على الأمة المستعمرة، ويركبهم بها، ويُشعرهم عظمتها فيها"^(١).

إن قيمة الولاء هي المحرك الحقيقي للمواطنة وهو نتيجة نهائية، والتي تبلور في شكل ما يسمى بالوطنية، فالولاء يدفعه إلى أداء واجباته ضمن إطار قيم المواطنة. فلا بد من النظر إلى اللغة العربية بحيث يكون الاعتزازُ بها اعتزازاً بالوطن وتراثه الحضاري العظيم، فهي عن صرّ أساس من مقومات الوطن والشخصية العربية، والنظر إليها على أنها وعاء للمعرفة والثقافة بكلّ جوانبها، ولا تكون مجرد مادةٍ مستقلة بذاتها للدراسة؛ لأنّ الوطن الذي يهمل لغته وطن يحتقر نفسه، ويفرضُ على نفسه التبعية الثقافية"^(٢).

كذلك اتضح أنه لا بد من توسيع الإمكان الوظيفي للغة العربية في المجتمع؛ وذلك بجعلها تشمل مجالات الحياة العلمية والثقافية والرياضية والحياتية والفنون؛ ونبذ الدعوات الهدامة التي تدعو إلى إحلال العامية أو اللغات الأجنبية محلها؛ فإن ذلك مما يباعد بين الشعوب والأفراد في المجتمعات ويفقدتهم قيمة الانتماء والمواطنة؛ ذلك أن اللغة تعد من أعظم الوسائل التي تربط بين طوائف المجتمع وتحقق التآلف والوئام بينهم، مع البحث عن سبل نشر

(١) وحي القلم / ٣ / ٢٧.

(٢) اللغة العربية: هوية ومواطنة / أ. علي نيمان القرني (مقال).

العربية وتبسيطها للعامة وتسهيل استعمالها، ومحاربة الشائعات التي تُنقَر من العربية بدعوى التَّقَرُّر أو الصعوبة في قواعد واستعمالات اللغة العربية؛ بغرض التنفير منها، والإبعاد عنها، للنيل من وحدة وترابط المجتمع والمواطنة فيه.

كذلك ظهر أن الترابط بين اللغة وعلم الاجتماع كان له دور كبير في ترسيخ قيم الانتماء والمواطنة في المجتمعات العربية، فقد تحقق من خلاله وظائف عدة تبنتها اللغة منها وظيفة ثقافية ووطنية، مما يبرز دور اللغة في ترسيخ المواطنة والهوية والإبداع والانتماء؛ كونها تعبر عن الحضارة الإنسانية، والقيم، والثقافة الوطنية، وتؤدي دورًا في اندماج الفرد بمجتمعه من خلال استخدامه اللغة الوطنية الرسمية أو اللهجات العامية التي بدورها تعبر عن سمة من سمات الهوية الوطنية للمجتمع.

لذلك فقد دأب علماء اللسانيات الاجتماعية على توضيح العلاقة بين اللغة والهوية والحياة الاجتماعية في الظواهر اللغوية، التي تعد نتاج نشاط اجتماعي، ووسيلة يستخدمها المجتمع في نقل ثقافته من فرد لفرد، ومن جيل إلى جيل، كون اللغة تمثل الوعاء الفكري لثقافة المجتمع، وبالتالي فهي تعبر عن سمات الانتماء الاجتماعي والثقافي للفرد.

وهذا مما فرض علي الجميع التكاتف للحفاظ على اللغة العربية في ظل تأثيرات العولمة والمتغيرات العالمية والانفتاح الثقافي على الحضارات الأخرى التي ظهرت مؤخرًا؛ وفقًا لما أكده الباحثون في علم الاجتماع اللغوي، والمهتمون بقضايا السياسات اللغوية؛ وهو ما حدا ببعض الدول العربية إلى اتخاذ سياسة واضحة في حماية اللغة العربية من خلال إقرار التشريعات والسياسات اللازمة لتقنين استخدام اللغات، وتمكين اللغة العربية في المؤسسات والإدارات، والمحافظة عليها أسوة بتجارب الدول المتقدمة، وضمان عدم مزاحمة اللغات الأجنبية لها.

ومن أهم التجارب العربية في المحافظة على المواطنة اللغوية تجربة دولة قطر التي أقرت مشروع قانون حماية اللغة العربية بإنشاء المنظمة العالمية للنهوض باللغة العربية عام ٢٠١٣م، لدعم عملية التعليم والتعلم باللغة العربية الفصحى، وتفعيل دور اللغة العربية في مجالات البحث العلمي المختلفة وتأثيرها الإيجابي في اقتصاد المعرفة بشكل خاص، والاقتصاد العربي بشكل عام.

الخاتمة

وأهم نتائج البحث

.... هكذا وبعد هذه الجولة التي عشنا فيها مع "اللغة العربية وأهميتها في ترسيخ قيم الانتماء والمواطنة في المجتمع"؛ حيث وقفتُ على بعض النتائج والملاحظات، التي أثبتتها فيما يأتي، ومنها:

١. تطور مفهوم الانتماء والمواطنة عبر التاريخ، فالمواطنة - في كل حقبة تاريخية - إنما كانت تعبر عن التركيبة الثقافية والأخلاقية لتلك الحقبة، ومن ثم كانت المواطنة هي المؤشر على مدى تحقق المُثل الأخلاقية والسياسية في زمانها. أما عن مفهوم الانتماء: فعند النظر بعمق وشمولية إلى مفهوم الانتماء نجد أن الأصل في انتماء المسلم هو انتماءه إلى وطنه الإسلامي الكبير، ولكن بسبب الظروف السياسية التي مرت بها الأمة، واستقلال كل بلد بولي أمر متبع، صار الوطن هو المتعارف عليه عند أهل السياسة والجغرافيا... فهو من المفاهيم الحديثة في هذا العصر، فقد زاد اهتمام الباحثين بهذا المفهوم مع بداية عصر العولمة؛ حيث زالت فيه الحدود والحوازر بين الأمم والشعوب بفعل الطفرة التكنولوجية الكبيرة في وسائل الاتصال الحديثة؛ مما تسبب في تداخل العديد من القيم والعادات الأصيلة في المجتمع الإسلامي لعل من أبرزها حب الوطن والانتماء إليه.

٢. اتضح أن علاقة الهوية باللغة علاقةً جدليةً تفاعليةً؛ وأن اللغة هي الناطق الرسمي بلسان الهوية، ووسيلة إدراك العالم وتصنيف المجتمعات؛ لأن اللغة هي الهوية ذاتها، وهي الأداة التي نحول بها المجتمع إلى واقع. وثقافة الأمة كائنة في لغتها، في معجمها وصرفها وتراكيبها ونصوصها، وما من حضارة إلا وصاحبها اللغة، وما من صراع بشري إلا ويكمن خلفه صراع

لغوي خفي، فالهوية نتاج المعاني والقيم التي يُشيدُها الأفراد عبر اللغة، والطابع الخاص بمجتمع من المجتمعات ناتج من تفاعل ما يسري بداخله من خطاباتٍ لغويةٍ مرتَهنةٍ بالمتغيرات التاريخية.

٣. أن اللغة العربية تمثل ركناً مكيّناً في بِنان الهوية؛ حيث تستمد قوتها ونفوذها من الكتاب الذي نزل بها، وهي تعد انعكاساً لهوية الأمة العربية وواقعها؛ حيث تجسّد حالها بين قوتها وضعفها، ورغم عظمة اللغة العربية ودورها الرائد في التعبير عن هوية العرب وعزتهم، لكنّها في حاضرها اليوم في حاجةٍ إلى أن تتذكّر، وأن تستجمع قواها لمواجهة متطلّبات الحاضر والمستقبل في المجال المعرفي والحضاري؛ وذلك في مواجهة التحديات؛ وهو ما يستلزم تضافر الجهود للزّود عن حياض العربية، والدفاع عنها ضد الدعوات الهدّامة التي تريد أن تنال من الهوية العربية في صورة اللغة العربية.

٤. كما كشف البحث عن أهمية اللغة العربية في الحفاظ على الهوية، وأنها ذات فضلٍ وقيمةٍ كبيرة، وهذا ما شهد به غير العرب قبل أبنائها، وأنها جاءت في مُقدّمة اللغات التي نجحت في القيام بدورها الحضاري الرفيع، وارتقت بأمة من مجتمع الصحراء المتواري؛ لتكون هي ولغتها قائدة الحضارة والمعرفة على مستوى العالم قرونًا عديدة مُتواليّة.

٥. زيادة اللغة العربية منذ القدم في استيعاب ثقافاتٍ وشعوبٍ كثيرة تحت لوائها، توطيداً لأواصر المواطنة والانتماء بين الأمم والشعوب، رغم اختلاف ألوانهم وأعراقهم؛ وذلك جنباً إلى جنب مع الرباط الديني الإسلامي.

٦. اتضح أنه لا بد من توسيع الإمكان الوظيفي للغة العربية في المجتمع؛ وذلك بجعلها تشمل

مجالات الحياة العلمية والثقافية والرياضية والحياتية والفنون؛ ونبذ الدعوات الهدامة التي تدعو إلى إحلال العامية أو اللغات الأجنبية محلها؛ فإن ذلك مما يباعد بين الشعوب والأفراد في المجتمعات ويفقدهم قيمة الانتماء والمواطنة؛ ذلك أن اللغة تعد من أعظم الوشائج التي تربط بين طوائف المجتمع وتحقق التآلف والوئام بينهم، مع البحث عن سبل نشر العربية وتبسيطها للعامية وتسهيل استعمالها، ومحاربة الشائعات التي تُنْفَر من العربية بدعوى التَّقَرُّر أو ال صعوبة في قواعد واستعمالات اللغة العربية؛ بغرض التنفير منها، والإبعاد عنها، للنيل من وحدة وترابط المجتمع والمواطنة فيه.

٧. أن اللغة تعد من الأدوات التي تحقق الترابط والمواطنة بين الشعوب في هذا الزمن الذي يُموج بالصراعات والتشردُّم وحالة الانعزال الاجتماعي في المجتمعات، وخاصة في مجتمعنا العربي.

٨. أنه لا بد من النظر إلى اللغة العربية بحيث يكون الاعتزازُ بها اعتزازًا بالوطن، وتراثه الحضاري العظيم، فهي عنصرٌ أساسٌ من مقوماتِ الوطن والشخصية العربية، والنظر إليها على أنها وعاء للمعرفة والثقافة بكلِّ جوانبها، ولا تكون مجردَ مادةٍ مستقلة بذاتها للدراسة؛ لأنَّ الوطن الذي يهمل لغته ووطن يحترق نفسه، ويفرضُ على نفسه التبعية الثقافية.

٩. تضافر الجهود المخلصة للزُّود عن حياض العربية والدفاع عنها ضد الدعوات الهدامة التي تريد أن تنال من الهوية العربية في صورة اللغة العربية، ومن ذلك ما قام به مجمع اللغة العربية بالقاهرة؛ حيث أوصى في إحدى جلساته بضرورة المحافظة على اللغة العربية، محدِّدًا من خطورة اتساع نطاق اللغات الأجنبية في التعليم على حساب اللغة العربية، وشدد على أهمية

سيادة العربية في العملية التعليمية، وثمن دور مؤسسات المجتمع المدني في الحفاظ على اللغة، التي هي عنوان الهوية وأساس الانتماء.

١٠. الوقوف على كيفية قيام اللغة العربية بدورها الرائد في الترسّيح لقيمة المواطنة عن طريق توسيع إمكاناتها الوظيفية في المجتمع وليس قصرها على المجالات الرسمية والنواحي التعليمية.

١١. ظهر أن الترابط بين اللغة وعلم الاجتماع له دور كبير في ترسيخ قيم الانتماء والمواطنة في المجتمعات العربية؛ فقد ظهر أن اللغة لها دورٌ فاعلٌ في اندماج الفرد بمجتمعه في استخدامه اللغة الوطنية الرسمية أو اللهجات العامية التي بدورها تعبر عن سمةٍ من سمات الهوية الوطنية للمجتمع.

١٢. ضرورة تكاتف الجهود للحفاظ على اللغة العربية في ظل تأثيرات العولمة والمتغيرات العالمية والانفتاح الثقافي على الحضارات الأخرى؛ وذلك بهدف تقنين استخدام اللغات الأجنبية، وتمكين اللغة العربية، ومن أهم التجارب العربية في المحافظة على المواطنة اللغوية تجربة قطر حيث أقرت مشروع قانون حماية اللغة العربية في دولة قطر ٢٠١٥م، وغيرها من الإجراءات الأخرى لحماية اللغة العربية.

ـ وأخيراً أوصي الباحثين بمثل هذه الدراسات للتعرف على الأدوات والأساليب التي تحقق الانتماء والمواطنة، وكذلك التعرف على فضل اللغة العربية وقيمتها من بين اللغات التي أسهمت في ترسيخ المعنى السامي للمواطنة والانتماء في المجتمع منذ فجر التاريخ.

قائمة بأهم المصادر والمراجع

أولاً - المطبوعات:

القرآن الكريم (جل من أنزله).

- ١- الانتماء للوطن / د. عادل عبد القادر قوته، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
- ٢- تاج العروس من جواهر القاموس / للزبيدي، تحقيق / مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- ٣- التاريخ الفكري لأزمة اللغة العربية / د. صادق محمد نعيمة، الناشر / أفريقيا الشرق، الدار البيضاء ٢٠٠٨م.
- ٤- التحديات التي تواجه اللغة العربية في العصر الحديث / د. محمد رفعت زنجير، منشور على موقع شبكة الألوكة الإلكتروني. <http://www.alukah.net>
- ٥- التعريفات / للجرجاني، تحقيق / إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- ٦- تهذيب اللغة / للأزهري، تحقيق / محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
- ٧- الثقافة العربية في عصر المعلومات.. رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي / د. نبيل علي، عالم المعرفة ٢٦٥ (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت ٢٠٠١م).
- ٨- دراسات في فقه اللغة / د. صبحي ال صالح، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة السابعة ١٩٧٨م.
- ٩- دور التعليم في تعزيز الانتماء / د. لطيفة إبراهيم، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

- ١٠- راهن اللغة العربية في أوطانها ومسؤولية أبنائها نحوها/ د. محمد بو حجام، بحث ضمن كتاب: "العربية: الراهن والمأمول" المجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر ٢٠٠٩م.
- ١١- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار/ للشوكاني، دار ابن حزم، الطبعة الأولى.
- ١٢- ال صحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري، تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ١٣- علم اللغة الاجتماعي/ د. هديسون، ترجمة/ د. محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٠م.
- ١٤- العين/ للخليل، تحقيق/ دكتور مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر والتوزيع - العراق (لم تذكر سنة النشر).
- ١٥- الفصحى لغة القرآن/ للدكتور أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ومكتبة المدرسة، بيروت - لبنان ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ١٦- في التعريب والترغيب/ د. محمود فوزي المناوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٢م.
- ١٧- القاموس المحيط/ للفيروزآبادي، تحقيق/ مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة - بيروت، الناشر/ مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة السابعة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ١٨- قضايا اللغة العربية المعاصرة، بحث في الإطار العام للموضوع، ضمن كتاب: من قضايا اللغة العربية المعاصرة (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)، تونس ١٩٩٠م.
- ١٩- قضايا ومشكلات لغوية/ لأحمد عبد الغفور عطار، دار تهامة - جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.
- ٢٠- لسان العرب/ لابن منظور، تحقيق/ عبد الله الكبير ورفاقه، دار المعارف بمصر.

- ٢١- اللغة العربية هوية وانتماء/ عبد الله حمد الحقييل، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٢ - ٢٠١١م.
- ٢٢- اللغة والاقته صاد/ فلوريان كولماس، ترجمة/ د. أحمد عوض، مراجعة/ عبد السلام رضوان، عالم المعرفة، الكويت ٢٠٠٠م.
- ٢٣- اللغة والدين والهوية/ عبد العلي الودغيري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ٢٠٠٠م.
- ٢٤- اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح/ بسام بركة وآخرون، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر ٢٠١٢م، الطبعة الأولى بيروت ٢٠١٣م.
- ٢٥- اللغة والهوية والتعددية اللسانية/ د. عبد المجيد حنون، الناشر/ المجلس الأعلى للغة العربية (الجزائر) نوفمبر ٢٠٠٦م.
- ٢٦- اللغة العربية ومكانته في الثقافة العربية الإسلامية/ جميل عيسى الملائكة - ضمن كتاب "من قضايا اللغة العربية المعاصرة"، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٩٠م.
- ٢٧- المحكم والمحيط الأعظم/ لابن سيده، تحقيق/ عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٢٨- المصباح المنير/ للفيومي، تحقيق/ د. عبد العظيم الشناوي، دار المعارف بالقاهرة.
- ٢٩- معجم اللغة العربية المعاصرة/ د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ٣٠- المعجم الوسيط/ لمجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار)، الناشر/ دار الدعوة.

- ٣١- مفهوم المواطنة والأسس التي تقوم عليها في ألمانيا ومصر - دراسة مقارنة / نهلة محمد مصطفى بحث بكلية الحقوق - جامعة المنوفية.
- ٣٢- مقاييس اللغة / لابن فارس، تحقيق/ عبد السلام هارون، دار الجيل - بيروت.
- ٣٣- المواطنة / د. عصام صيام، الموسوعة السياسية للشباب، نهضة مصر، سنة ٢٠٠٧م.
- ٣٤- وحي القلم / للرافعي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

ثانياً - المخطوطات والرسائل العلمية :

١. أثر الانفتاح الثقافي على مفهوم المواطنة لدى الشباب السعودي - دراسة استكشافية / عثمان صالح العامر، دراسة مقدمة إلى اللقاء الثالث عشر لقادة العمل التربوي، مدينة الباحة - المملكة العربية السعودية ١٤٢٦ هـ.
٢. الانتماء والقيم: دراسة مقارنة لمجموعات من المراهقين في مجموعات مختلفة / هانم إبراهيم الشيبيني، (رسالة دكتوراه) مقدمة إلى معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، القاهرة ١٩٩٢.
٣. جدلية اللغة والمجتمع / سمراء شلواش، رسالة ماجستير بكلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي - الجزائر ٢٠١٤ / ٢٠١٥م.
٤. سيكولوجية الانتماء - دراسة مقارنة بين جيلين في مجتمع الإمارات / روضة عبد الله المطوع (رسالة ماجستير) مقدمة إلى معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، القاهرة ١٩٩٤م.
٥. واقع الانتماء لدى الطلاب في المملكة العربية السعودية ودور المدرسة في تعميقه / إبراهيم بن محمد العيسى، (رسالة ماجستير) بكلية التربية بجامعة الملك سعود، الرياض -

السعودية ١٤٢٠ هـ .

ثالثاً - البحوث والمقالات:

١ . إسهام اللغة العربية وأهميتها في تعزيز وترسيخ قيم المواطنة/ د. أحمد غيث أحمد، بحث في المجلة الجامعة - العدد الرابع والعشرون، المجلد الأول، مارس ٢٠٢٢ م.

٢ . أهمية اللغة في السياق اللساني الاجتماعي / محمد همو، مقال موقع: الحوار المتمدن- العدد: ٦٨٠٨، بتاريخ ٧ / ٢ / ٢٠٢١ م، ورابطه كالتالي:

<https://www.google.com/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=&cad=rja&uact=8&ved=2ahUKEwiBzpe6JDAhXTUqQEHYKdAQcQFnoECB4QAQ&url=https%3A%2F%2Fwww.ahewar.org%2Fdebat%2Fshow.art.asp%3Faid%3D708373&usg=AOvVaw1Fb0jN3NkG87Q5DTtTYhmq>

٣ . الانتماء الوطني .. رؤية شرعية/ سالم بن عميران ————— مقال في مجلة البيان الإلكترونية بتاريخ، العدد ٣٣٨ بتاريخ ١٥ يوليو ٢٠١٥ م ورابطه كالتالي:

<http://albyan.co.uk/MGZadadarticles.aspx?ID=85>

٤ . أبرز تحديات اللغة العربية/ فهد المضحكي، مقال بصحيفة الأيام البحرينية، العدد ١١٧٥٣ السبت ١٢ يونيو ٢٠٢١ الموافق ٢ ذو القعدة ١٤٤٢ هـ، ورابطه:

<https://alay.am/p/4kho>

٥ . أهمية اللغة العربية في المحافظة على الهوية وتوطين المعرفة/ أ. د. أحمد درويش — مقال على موقع شبكة الألوكة الإلكتروني، بتاريخ: ٣١ / ٧ / ٢٠١٠ م _ ١٩ / ٨ / ١٤٣١ هـ:

https://www.google.com/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=&cad=rja&uact=8&ved=2ahUKEwj7sKa8_rD9AhVaVaQEHT8WC6c4ChAWegQICRAB&url=https%3A%2F%2Fwww.alukah.net%2Fliterature_language%2F0%2F24128%2F%25D8%25A3%25D9%2587%25D9%2585%25D9%258A%25D8%25A9%25D8%25A7%25D9%2584%25D9%2584%25D8%25BA%25D8%25A9%25D8%25A7%25D9%2584%25D8%25B9%25D8%25B1%25D8%25A8%25D9%258A%25D8%25A9%25D9%2581%25D9%258A%25D8%25A7%25D9%2584%25D9%2585%25D8%25AD%25D8%25A7%25D9%2581%25D8%25B8%25D8%25A9%25D8%25B9%25D9%2584%25D9%2589%25D8%25A7%25D9%2584%25D9%2587%25D9%2588%25D9%258A%25D8%25A9%25D9%2588%25D8%25AA%25D9

<https://www.almrsal.com/post/751217>

٦. تعريف المواطنة لغة واصطلاحًا - مقال في موقع المرسل بتاريخ ٧ مارس ٢٠٢٢م:

<https://www.almrsal.com/post/751217>

٧. توصيات لمجمع اللغة العربية في مؤتمره السنوي من دورته السابعة والسبعين لسنة ٢٠١١م،

على موقع الجزيرة نت الإلكتروني، ورابطه كالاتي:

<https://1a1072.azureedge.net/culture/2011/5/18/%D8%AA%D9%88%D8%B5%D9%8A%D8%A7%D8%AA%D9%84%D9%85%D8%AC%D9%85%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%BA%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9>

٨. سيادة اللغة العربية على اللغة الإنجليزية وتحديات العصر الحديث/ سلوى إدريس بابكر،

مقال في مجلة الدراسات اللغوية والأدبية - مج ١٩، ع ١ - ٢٠١٨م، جامعة السودان للعلوم

والتكنولوجيا:

<http://repository.sustech.edu/handle/123456789/21056>

٩. اللغة العربية: الهوية والانتماء/ د. معمر في صل الخولي، مقال/ على موقع مركز الروابط

للبحوث والدراسات الاستراتيجية، بتاريخ ٢٢ ديسمبر ٢٠١٤م:

<https://rawabetcenter.com/archives/1995>

١٠. اللغة العربية والتنمية الشاملة في المغرب العربي بين المبدأ والتطبيق/ عبد اللطيف عبيد،

مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب بالرباط، العدد ٦٦، ديسمبر ٢٠٠١م.

١١. لغة الضاد... وتحديات العصر!! / محمود إبراهيم سعد، مقال على موقع الجزيرة

الإلكتروني بتاريخ ١٨ / ٢ / ٢٠١٧م ورابطه كالاتي:

<https://2m7483.azureedge.net/blogs/2017/2/18/%D9%84%D8%BA%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B6%D8%A7%D8%AF%D9%88%D8%AA%D8%AD-%D8%AF%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B5%D8%B1>

١٢. اللغة العربية: هوية ومواطنة/ أ. علي نيمان القرني، مقال على موقع جامعة الإمام محمد بن

سعود الإسلامية، ورابطه كالتالي:

<https://units.imamu.edu.sa/shis/malaz-inst/EduArticles/Pages/27-3-1440-m.aspx>

١٣. لغة الضاد... وتحديات العصر!! / محمود إبراهيم سعد، مقال على موقع الجزيرة

الإلكتروني بتاريخ ١٨ / ٢ / ٢٠١٧م. ورابطه كالتالي:

https://www.google.com/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=&cad=rja&uact=8&ved=2ahUKEwi_j5zTuJrAhUnU6QEHXWrDicQFnoECAkQAQ&url=https%3A%2F%2Fm7483.azureedge.net%2Fblogs%2F2017%2F2%2F18%2F%25D9%2584%25D8%25BA%25D8%25A9-%25D8%25A7%25D9%2584%25D8%25B6%25D8%25A7%25D8%25AF-%25D9%2588%25D8%25AA%25D8%25AD%25D8%25AF%25D9%258A%25D8%25A7%25D8%25AA%25D8%25A7%25D9%2584%25D8%25B9%25D8%25B5%25D8%25B1&usg=AOvVaw2xRZXdv4JdI8xvyy9z21b

١٤. لماذا يجب علينا الحفاظ على اللغة العربية/ د. حمد بن عبد العزيز الكواري، مقال على

موقع عرب أوج، بتاريخ ٢٨ فبراير ٢٠٢٢م ورابط المقال كالتالي:

<https://www.dohanews.co/why-we-must-preserve-the-arabic-language/>

١٥. مفهوم المواطنة وتطوره التاريخي من العصور اليونانية حتى تاريخنا المعاصر/ د. علي

الصلابي، مقال في موقع: إسلام أون لاين، ورابطه كالتالي:

https://www.google.com/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=&cad=rja&uact=8&ved=2ahUKEwjQk6nzoK_9AhWc7LsIHV1zA28QFnoECAkQAQ&url=https%3A%2F%2Fislamonline.net%2F%25D9%2585%25D9%2581%25D9%2587%25D9%2588%25D9%2585%25D8%25A7%25D9%2584%25D9%2585%25D9%2588%25D8%25A7%25D8%25B7%25D9%2586%25D8%25A9%25D9%2588%25D8%25AA%25D8%25B7%25D9%2588%25D8%25B1%25D9%2587%25D8%25A7%25D9%2584%25D8%25AA%25D8%25A7%25D8%25B1%25D9%258A%25D8%25AE%25D9%258A%2F&usg=AOvVaw3O4paLfwZeX1DfLD_6YF73

١٦. المواطنة اللغوية من منظور اللسانيات الاجتماعية/ د. بدرية بنت ناصر الوهيبية، مقال في

جريدة الرؤية العمانية، بتاريخ ١٨ ديسمبر ٢٠٢١م، ورابطه كالتالي:

<https://alroya.om/p/293104>

١٧. الهوية وعلاقتها باللغة/ د. عبد التواب الأكرت (مقال) منشور على موقع كنوز المعرفة

الإلكتروني، ورابطه كالتالي:

<https://konozalarbyia.com/2023/04/05/%d8%a7%d9%84%d9%87%d9%88%d9%8a%d8%a9-%d9%88%d8%b9%d9%84%d8%a7%d9%82%d8%aa%d9%87%d8%a7-%d8%a8%d8%a7%d9%84%d9%84%d8%ba%d8%a9-1-%d8%a8%d9%82%d9%84%d9%85-%d8%a3-%d8%af-%d8%b9%d8%a8%d8%af-%d8%a7%d9%84/>

(تم البحث بحمد الله)

(والله ولي التوفيق)

فهرس موضوعات البحث

المحتويات

٣٢١	الملخص
٣٢٥	المقدمة
٣٢٦	مشكلة البحث أو سؤال البحث
٣٢٦	سبب اختيار البحث وهدفه
٣٢٧	أهمية البحث
٣٢٧	منهج البحث
٣٢٧	خطة البحث
٣٢٨	تمهيد: مفهوم الانتماء والمواطنة، وتطوره عبر التاريخ
٣٢٨	أولاً: مفهوم الانتماء
٣٣١	ثانياً: مفهوم المواطنة
٣٣٢	خصائص المواطنة
٣٣٣	تطور مفهوم المواطنة عبر التاريخ
٣٣٥	المبحث الأول: أهمية اللغة العربية في الحفاظ على الهوية
٣٣٥	توطئة
٣٣٦	علاقة الهوية باللغة
٣٣٨	اللغة العربية انعكاس للهوية الأمة العربية وواقعها
٣٣٩	اللغة العربية في مواجهة التحديات
٣٤١	الحفاظ على اللغة العربية حفاظاً على الهوية (سيادة اللغة)
٣٥٠	تعقيب

المبحث الثاني: دور اللغة العربية في ترسيخ قيم الانتماء والمواطنة	٣٥٢
توطئة.....	٣٥٢
أهمية اللغة تنبع من وظيفتها في المجتمع محلياً ودولياً.....	٣٥٢
الإمكان الوظيفي وأهميته للغة العربية	٣٥٣
أهمية اللغة العربية في بناء الفرد العربي، وتجسيد الحضارة والإبداع الفكري للعرب	٣٥٤
الترابط بين اللغة وعلم الاجتماع ودوره في ترسيخ قيم المواطنة والانتماء	٣٥٦
ضرورة الحفاظ على اللغة العربية	٣٥٨
تعقيب.....	٣٦١
الخاتمة.....	٣٦٤
قائمة بأهم المصادر والمراجع.....	٣٦٨
فهرس موضوعات البحث	٣٧٦

